الإعجاز في سورة

«نوح» عليه السلام

دراسة تطبيقية

بحث مقدم من

د / حنان فتحى أحمد محمد رفاعى

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر ـ بنات القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

الإعجاز في سرة نوح ـ عليه السلام ـ دراسة تطبيقية

حنان فتحي أحمد محمد

قسم التفسير وعلوم القرآن ، شعبة أصول الدين ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، جامعة الازهر ،القاهرة ، مصر.

البريد الإلكتروني: hananfathy714@yahoo.com

الملخص:

اشتمل البحث على دراسة نظرية حول إعجاز القرآن ، وقد اشتمل على : التعريف بمفهوم إعجاز القرآن ، وبيان القدر المعجز من القرآن ، وأدلة إعجاز القرآن ، وبيان لوجوه إعجاز القرآن. وجاء مشتملا على دراسة تطبيقية لوجوه الإعجاز في سورة نوح ـ عليه السلام ـ ، وقد تتبعت فيه آيات السورة الكريمة موضحة ما فيها من وجوه الإعجاز ،وكان أبرزها : الإعجاز البياني، الإخبار بالغيب الماضي ، الحقائق العلمية في السورة الكريمة ، ثم جاءت الخاتمة مشتملة على أهم نتاج البحث.

الكلمات المفتاحية : مفهوم ، الإعجاز ، المعجزة ، وجوة ،الاخبار، الحقائق.

The Miracle in Noah's Secret - A Practical Study

Hanan Fathi Ahmed Mohammed

Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Division of Religious Origins, Faculty of Islamic and Arab Studies Girls, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

E-mail: hananfathy714@yahoo.com

Abstract:

The research included a theoretical study on the miracle of the Qur'an, which included: the definition of the concept of the miracle of the Qur'an, the statement of the miracle of the Qur'an, the evidence of the miracle of the Qur'an, and a statement of the faces of the miracle of the Qur'an.

It included an applied study of the faces of miracles in Sura Noah, peace be upon him, and the verses of the Holy Soora were followed, explaining the faces of miracles, the most prominent of which were: graphic miracles, news of the past unseen, scientific facts in the holy surah, and then the conclusion included the most important product of the research.

Keywords: Concept, Miracle, Miracle, Atmosphere, News, Facts.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأيده بمعجزات كثيرة تدل على صدقه، وأنه مرسل من قبل ربه . عز وجل ..

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، وسماعه . عليه السلام . لأهل القبور، ومخاطبته لقتلى بدر(أهل القليب)، وحنين الجذع حين تركه، ونبوع الماء من بين أصابعه الشريفة، والإسراء والمعراج، وغير ذلك من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم مما تواترت الأخبار بصحته.

بيد أن أفضل معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وأجلها شأنًا معجزة القرآن،الذى نزل بأفصح اللغات وأبلغها، **{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}**(١).

إن القرآن لم يكن أفضل معجزات الرسول ﷺ فقط، بل فاق معجزات من سبقه ﷺ من الأنبياء والرسل عليهم . الصلاة والسلام .؛ وذلك لأن معجزاتهم . عليهم السلام . كانت حسية، فكانت تقع ولا تبقى،ولا يعرفها إلا من عاينها.

لكن معجزة القرآن كانت من نوع آخر، فهى معجزة خالدة، وآية باقية ما بقى الليل والنهار، تخاطب كل الأجيال، يراها ويقرأها الناس في كل عصر، كما أن القرآن هو الذى سجل معجزات الرسل والأنبياء السابقين . نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وصالح، وهود، ويونس، ويوسف.....الخ . عليهم وعلى نبيينا السلام .، ولولا أن القرآن سجلها ما علمناها على وجه اليقين؛لأن

---

(١)هود: ١.

يد التحريف امتدت إلى كتب الأنبياء السابقين،وذكرت معجزاتهم فيها مشوبة بأمورغير صحيحة.

إن القرآن الكريم كتاب متناسق لااختلاف فيه ولا تعارض في موضوعاته، تتكرر مقاطعه وقصصه وحكمه ومواعظه وفق الحكمة، يشبه بعضه بعضًا في الحسن والإئتلاف،لا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، لا يمله القارىء والسامع، ولا يزداد له المؤمن إلا يقينًا بدينه وتعلقًا به، قال تعالى: **{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}**(١).

وقد جاءت هذه الآية ناطقة بإعجازالقرآن، مبينة مصدره، قال الإمام الزمخشرى: "وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نَزَّلَ عليه: فيه تفخيم لأحسن الحديث، ورفع منه، واستشهاد على حسنه، وتأكيد لاستناده إلى الله وأنه من عنده، وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه، وتنبيه على أنه وحى معجز مباين لسائر الأحاديث"(٢).

ولذلك تحدى المولى . عزوجل . العرب أن يأتوا بمثل القرآن، بل أرخى لهم العنان في التحدى لكنهم عجزوا عن معارضته والإتيان بأقصر سورة من مثله، وسجل عليهم عجزهم في قوله: **{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ**

(١)الزمر: ٢٣.

(٢)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ج٤ص ١٢٣، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤٠٧ هـ.

ظَهِيرًا}(١).

أهمية الموضوع وأسباب اختيارى له:

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى أنه من الموضوعات ذات الصلة الوثيقة بكتاب الله . عز وجل .، وأنه دليل صدق على نبوة سيد المرسلين محمد ﷺ، وعموم رسالته للناس أحمعين.

أسباب اختيارى لهذا الموضوع:

أحمد الله . عزوجل . أن هدانى لهذه الدراسة وذلك لعدة أسباب:

١ . إبراز حسن وجمال القرآن، وتقريب مفهوم إعجازه إلى الأذهان من خلال الدراسة التطبيقية لوجوه الإعجاز في سورة نوح . عليه السلام .، وهى من المفصل، وذلك للدلالة على تعدد وجوه الإعجازفى القرآن الكريم، ويستوى في ذلك السور الطوال والقصار.

٢ . كثرة المطاعن في هذا الزمن على القرآن الكريم، وتأثر بعض المسلمين بهذه المطاعن؛ ولذا كان لابد من التذكير بعلو مكانة القرآن، والإشادة بسموه ورفعته.

٣ . إبراز وجوه إعجاز القرآن، التى أعجزت العرب عن معارضته والإتيان بمثله.

٤ . أن يعرف المسلمون بعض ما في القرآن من أسرار وعجائب خالدة باقية، فيزداد يقينهم بربهم وتمسكهم بكتابهم.

خطة البحث: يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو التالى، أما المقدمة فقد اشتملت على: أهمية الموضوع وأسباب اختيارى له، وخطة البحث، ومنهجى فيه.

المبحث الأول: " دراسة نظرية حول إعجاز القرآن الكريم "، وقد اشتمل

---

(١)الإسراء: ٨٨.

على أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بمفهوم إعجاز القرآن.

المطلب الثانى: بيان القدر المعجز من القرآن.

المطلب الثالث: أدلة إعجاز القرآن.

المطلب الرابع: وجوه إعجاز القرآن.

المبحث الثانى: "دراسة تطبيقية لوجوه الإعجاز في سورة نوح، عليه السلام". وقد اشتمل على: تمهيد للتعريف بالسورة الكريمة، و ثلاثة مطالب،

المطلب الأول: الإعجاز البلاغى في السورة الكريمة.

المطلب الثانى: الإعجاز بالإخبار بالغيب.

المطلب الثالث: الحقائق العلمية في السورة الكريمة.

الخاتمة، وتشتمل على: أهم النتائج، ومصادر البحث، وفهرس الموضوعات.

منهجى في البحث:

١- استخدمت المنهج الإستقرائي الإستنباطي، القائم على دراسة الآية القرآنية، وعرض أقوال المفسرين فيها، واستنباط وجه الإعجاز من أقوالهم على قدر الطاقة، مع بيان أثر البلاغة فى معنى الآية .

٢- آثرت الإيجاز والإختصار في المبحث الأول؛ وذلك لأن المقصد الأساس لهذا البحث هو الدراسة التطبيقية لوجوه الإعجاز في سورة نوح . عليه السلام ..

٣- عزو الآيات إلى سورها، وذكر أرقامها فى السورة.

٤- تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة مع الحكم عليها إذا لم تكن في الصحيحين.

٥- ترتيب الموضوعات التى تناولتها في بحثى وفق ترتيب الآيات فى السورة الكريمة.

٦ ـ ذكر اسم الكتاب كاملًا مع اسم مؤلفه والجزء والصفحة والناشر والطبعة عند أول ذكر للكتاب، ثم اكتفى بعد ذلك بذكر اسم الكتاب مختصرًا، والجزء والصفحة.

٧ـ الترجمة في الحاشية للأعلام المذكورين في صلب البحث من غير المشتهرين (ترجمة موجزة).

٨ـ تحرى الدقة والأمانة فى النقل، وذلك بعزو الأقوال إلى أصحابها، أو الإحالة إلى المصدر المقتبس منه.

والله أسأل أن يوفقنى لإتمام هذا البحث على النحو الذى يرضيه عزوجل .، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وأن يتجاوز عما يكون فيه من تقصير، والله من وراء القصد، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

المبحث الأول

دراسة نظرية حول إعجاز القرآن

المطلب الأول : التعريف بمفهوم إعجاز القرآن

الإعجاز فى اللغة: يقال: أَعْجَزْتُ فلانًا وعَجَّزْتُهُ وعَاجَزْتُهُ: جعلته عَاجِزًا. والعَجْزُ أصلُهُ التَّأَخُّرُ عن الشيء، وحصوله عند عَجُزِ الأمرِ، أي: مؤخّره، كما ذكر في الدّبر، وصار في التّعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضدّ القدرة.(١)

وقيل: العَجْزُ: نَقِيضُ الحَزْم، وعَجَّز فلانٌ رَأْيَ فُلَانٍ إذا نَسَبَهُ إلى خِلَافِ الحَزْم كأَنه نَسَبَهُ إلى العَجْز. وَيُقَالُ: أَعْجَزْتُ فُلَانًا إذا أَلْفَيْتَه عاجِزًا. والمَعْجِزَةُ، بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا، مَفْعِلَةٌ مِنَ العَجْز: عَدَمُ الْقُدْرَةِ. وَفِي الْحَدِيثِ: (كلُّ شيءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى العَجْزُ والكَيْسُ)(٢)، وَقِيلَ: أَراد بالعَجْز تَرْكَ مَا يجب فِعْلَهُ بالتَّسويف وَهُوَ عَامٌّ فِي أُمور الدُّنْيَا وَالدِّينِ.(٣)

---

(١)المفردات في غريب القرآن/ المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)/ كتاب العين مادة عجز، ج١ ص ٥٤٧/المحقق: صفوان عدنان الداودي/الناشر: دار القلم، الدار الشامية– دمشق بيروت/ الطبعة: الأولى– ١٤١٢ هـ.

(٢)الحديث في صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، كتاب القدر، باب: كل شيء بقدر، رقم الحديث (٢٦٥٥)، ج٤ ص ٢٠٤٥، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٣)لسان العرب/المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)/ فصل العين، مادة: عجز ج٥ ص ٣٧٠/ الناشر: دار صادر – بيروت/ الطبعة: الثالثة– ١٤١٤ هـ.

والتَّعْجِيزُ: التَّثْبِيطُ، والنِّسْبَةُ إلى العَجْزِ. ومُعْجِزَةُ النبيِّ ﷺ: ما أَعْجَزَ به الخَصْمَ عندَ التَّحَدِّي، والهاءُ للمُبالَغَةِ.(١)

وبذلك يظهر لنا أن الفعل عجز تدور مادته حول ثلاث معانى: عدم القدرة على فعل الشىء، التراخى وعدم أخذ الأمور بجدية، التسويف وترك الإتيان بالفعل على وجه السرعة، ويلاحظ أن المعنى الثانى والثالث يلزم من وجودهما العجز وعدم القدرة على فعل الشىء.

المعجزة اصطلاحًا: كل ما قصد به إظهار صدق المدعى للرسالة ، مع امتناع المعارضة ، وتحديه الإتيان بمثلها (٢).

وللمعجزة خمس شرائط :

الأول : أن تكون فعلًا لله تعالى .

الشرط الثاني: أن يكون الفعل خارقاً للعادة ؛لأنه إذا لم يكن خارقاً للعادة استوى فيه الصادق والكاذب.

---

(١)القاموس المحيط/المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)/ باب الزاى، فصل العين، ج١ ص ٥١٦/ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة/ بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي/ الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان/الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.

٢) ينظر: غاية المرام في علم الكلام /المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ) / ص ٣٣٣ / المحقق: حسن محمود عبد اللطيف / الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة / المواقف ، المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ، ج ٣ ص ٣٤٢، ٣٤٣، المحقق: عبد الرحمن عميرة ، الناشر: دار الجيل – لبنان – بيروت ، ٠الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م

الشرط الثالث: تحدّى النبي بالمعجزة وأن يكون ظهورها على وفق دعواه، حتى لو ظهرت على يد شخص وهو ساكت لم تكن معجزة.

الشرط الرابع: أن يكون ظهور المعجزة بعد الدعوى والتحدّي، حتى لو ظهرت آية فقال رجل من القوم: أنا نبيّ الله والذي ظهر معجزتي لم يكن شيئًا ؛لأنه لا تعلق لما مضى بدعواه ولا يدل على صدقه.

الشرط الخامس: أن تشهد المعجزة بصدقه ولا تشهد بتكذيبه ، فعلى هَذَا لَا يجوز أَن تكذب الرَّسُول ، فإِذا قَالَ أَنا رَسُول وَآيَة صدقى أَن ينْطق الله يدى، فَلَو نطقت يَده قائلة إِنَّه كَاذِب فِيمَا يَدعِيهِ ،لم يكن ذَلِك آيَة على صدقه ([1]).

والمعجزة إما حسية وإما عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم؛ ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صل الله علية وسلم: **(مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ)**(٢).(٣)

---

[1]) المغني للإمام المتولي /المؤلف: عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري، أبو سعد (المتوفى: ٤٧٨هـ) / ص ٥٠ ، ٥١ بإيجاز / تحقيق وتقديم: مارى برنان / الناشر: المعهد الفرنسى للآثار الشرقيه، ١٩٨٦ – القاهرة (ملحق حوليات إسلامية ؛ العدد رقم ٧.

(٢)الحديث أخرجه الإمام البخارى في صحيحه، باب: كيف نزل الوحى، وأول ما نزل، رقم الحديث (٤٩٨١)، ج٦ ص ١٨٢، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/ والإمام مسلم في صحيحه، باب: وجوب الإيمان برسالة سيدنا محمد ﷺ، رقم الحديث (١٥٢)، ج١ ص ١٣٤.

(٣)الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ج٤ ص ٣،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الناشر: الهيئة =

ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلًا لله تعالى، فالتعجيز ليس مقصودًا لذاته، بل المقصود لازمه، وهو إثبات دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلِّغون عن الله؛ فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات، إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر، لحكمة عالية، وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها ليسعدوا باتباعه في الدنيا والآخرة(١).

وعلى هذا فالمراد بمصطلح إعجاز القرآن: إظهار صدق النبي-ﷺ- في دعوى الرسالة بإظهارعجزالعرب عن معارضته في معجزته الخالدة- وهي القرآن- وعجز الأجيال بعدهم(٢).

وجدير بالذكر أن هذا المصطلح . المعجزة . ومصطلح إعجازالقرآن لم يرد فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية المطهرة، وإنما ظهر عندما دونت العلوم فى أواخر القرن الثانى الهجرى وبداية القرن الثالث.

وقد استعمل القرآن الكريم ألفاظًا مرادفة للمعجزة فى صدد إعطاء الدلائل

= المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(١)ينظر : قواعد العقائد ، المؤلف: أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ص٢١٥ ، المحقق: موسى مُحَمَّد علي ، الناشر: عالم الكتب – لبنان ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / مناهل العرفان في علوم القرآن/ المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)/ ج٢ ص ٢٢٧بإيجاز/ الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه/ الطبعة: الطبعة الثالثة.

(٢)مباحث في علوم القرآن/ المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)/ ص ٢٦٥/الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع/الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

للرسل عليهم الصلاة والسلام لمحاجة الأقوام، كلفظ الآية والبرهان والبينة والسلطان، ولعل اختيار العلماء لهذا المصطلح بدلا من الألفاظ الأخرى الدالة على الدلائل لإزالة الإشتراك اللفظى فى هذه الألفاظ .(١)

---

(١) ينظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ، المؤلف : مُحَمَّد بن عبد الرحمن الخميس ، ص ٤٧٨، الناشر : دار الصميعي، المملكة العربية السعودية / مباحث في إعجاز القرآن، المؤلف: الدكتور مصطفى مسلم،ص ١٣، ١٤/ الناشر: دار المسلم للطباعة/ ط: ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م . الثانية.

المطلب الثانى

بيان القدر المعجز من القرآن

اختلف العلماء في القدر الذى يقع به الإعجاز من القرآن إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: رأى الأشاعرة: أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة، قصيرة كانت أو طويلة، أو ما كان بقدرها ، أى ما كان مقدار السورة القصيرة وهو (إنا أعطيناك الكوثر)،وعلى هذا القول فإن الإعجازيقع بثلاث آيات؛لأنها قدرالسورة القصيرة .

الدليل:

ما ورد من أدلة التحدى، فقد ورد فى صريح القرآن أن الله طاول المشركين في المعارضة وتنازل لهم عن التحدي بجميع القرآن **{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ}**(١)، إلى التحدي بعشر سور مثله **{فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ}**(٢)، ثم إلى التحدي بسورة واحدة من مثله **{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ}**(٣)، وهم على رغم هذه المطاولة عجزوا، ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر.

الـرد علـيهم : ذهب أصحاب هذا القول بأن الإعجازلا يتحقق إلا بالسورة طويلة كانت أو قصيرة أو ما كان بقدرها،وهو قول غير مسلم به من وجهين:

---

(١)الإسراء: ٨٨.

(٢)هود: ١٣.

(٣)يونس: ٣٨.

الأول : إن كانوا يقصدون بقولهم أن المعجز من القرآن سورة كاملة لا أقل لزمهم أن سورة البقرة حاشا آية واحدة من آخرها أو من أولها ليست معجزة؛لأنها فى هذه الحالة ليست سورة كاملة، كما يلزم من قولهم أو مقدارها من الآيات أن الآية الواحدة ليست معجزة ، فآية الدين على قولهم ليست معجزة؛ لأنها ليست ثلاث آيات .

الوجه الثانى : أنه لا حجة لهم فى قوله تعالى **{فَأتوا بِسُورَة من مثله}** لِأَنَّهُ تَعَالَى لم يقل إِن مَا دون السُّورَة لَيْسَ معجزًا، بل قد قَالَ تَعَالَى (على أَن يَأْتُوا بِمثل هَذَا الْقُرْآن)، وَلَا يخْتَلف اثْنَان فِي أن كل شَيْء من الْقُرْآن قُرْآن فَكل شَيْء من الْقُرْآن معجز، وأن كل كلمة قَائِمَة الْمَعْنى يعلم إِذا تليت أَنَّهَا من الْقُرْآن فَإِنَّهَا معْجزَة لَا يقدر أحد على الْمَجِيء بِمِثْلِهَا أبدا. ([1])

القول الثانى: رأى المعتزلة: أن الإعجازمتعلق بجميع القرآن لا ببعضه.

الرد عليهم : هذا القول مردود بالآيات التي تتحدى بعشر سور وبسورة واحدة أو حديث مثله.(٢).

القول الثالث : أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله تعالى: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ}([3])، والتحدي بجنس القرآن لا بالمقدار،فيقع

---

[1]) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ،المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ، ص ١٢، ١٣ بإيجاز وتصرف،الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة .

(٢)ينظر: إعجاز القرآن المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) ص ٢٥٤/المحقق: السيد أحمد صقر/الناشر: دار المعارف – مصر/الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م/ دراسات في علوم القرآن الكريم ،المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، ص ٢٧١، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

[3]) الطور : ٣٤.

الإعجاز بالآية الواحدةطويلة كانت أو قصيرة، فالقرآن كله معجز لكن منه ما لو انفرد لكان معجزًا بذاته، ومنه ما إعجازه مع انضمام بعضه ببعض([1]).

والحق الذى عليه جمهور علماء المسلمين:أن القرآن كله معجز سوره وآياته، وينبغى أن لا نقيد ذلك بقدرمعين، فقد سئل بُندار الفارسي(٢) عن موضع الإعجاز من القرآن، فقال ما ملخصه:"إن تحديد موضع معين للدلالة على إعجاز القرآن فيه حيف وظلم للمعنى،وضرب لذلك مثلا بالسؤال عن موضع ذات الإنسان منه، مبينًا أن هذا أمر يصعب تحديده؛لأنه ليس هناك موضع معين للذات،بل متى أشرت إلى الإنسان فقد حققته ودللت على ذاته،وكذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى معنى من معانيه إلا كان ذلك المعنى آية دالة على إعجازه جميعه "(٣).

---

[1]) ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ،المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)،ج١ ص ١٨٠ بتصرف ،الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ،الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م / مباحث في علوم القرآن ص ٢٧١.

(٢)بندار الفارسى : بندار بن الحسين الشيرازى القدوة ، شيخ الصوفية ، له معرفة بالكلام والنظر ، توفى سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة . ينظر : سير أعلام النبلاء/ المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)/ ج١٢ص ١٩٣ /الناشر: دار الحديث- القاهرة/الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٣)معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)/المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)/ ج١ ص ١٠، ١١ بتصرف/ دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان/ الطبعة: الأولى =

وفى هذا الشأن يقول الشيخ مناع القطان: "ونحن لا نرى الإعجاز في قدر معين؛ لأننا نجده في أصوات حروفه ووقع كلماته، كما نجده في الآية والسورة، فالقرآن كلام الله وكفى.

وأيًّا كان وجه الإعجاز، أو القدر المعجز. فإن الباحث المنصف الذي يطلب الحق إذا نظر في القرآن من أي النواحي أحب: من ناحية أسلوبه، أو من ناحية علومه، أو من ناحية الأثر الذي أحدثه في العالم وغير به وجه التاريخ، أو من تلك النواحي مجتمعة، وجد الإعجاز واضحًا جليًّا".(١)

= ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

(١)مباحث في علوم القرآن، ص ٢٧١، ٢٧٢.

المطلب الثالث

أدلة إعجاز القرآن

أرسل المولى عزوجل رسوله محمد ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج البشرية من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الإيمان، شأنه شأن من سبقه من الأنبياء والرسل عليهم السلام، وقد جرت سنة الله تعالى أن يؤيد أنبيائه ورسله بآيات خارقة للعادة تدل على صدق دعواهم، وأكثر معجزات الأنبياء السابقين كانت حسية، وأكثر معجزات نبينا الكريم وأعلاها شأنًا معجزته العقلية ـ القرآن الكريم ـ فلم يكن القرآن مجرد كتاب مقدس يعلم الناس الحلال والحرام ويرشدهم إلى مكارم الأخلاق، بل كان دليل صدق على نبوة رسول الله ﷺ، وقد دل على ذلك عدة أدلة:

الدليل الأول: الإخبار بإعجاز القرآن، وقد دل على إعجازه آيات منه ناطقة بذلك منها قوله تعالى: **{الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}**(١)، فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا تكون حجة إن لم تكن معجزة(٢).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ**

---

(١)إبراهيم: ١.

(٢)أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني، المؤلف: أحمد جمال العمري/ ص ١٥/ الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة/الطبعة: السنة التاسعة– العدد الثالث– ذو الحجة ١٣٩٦هـ/ ديسمبر ١٩٧٦م.

اللَّهِ}(١)، فَلَوْلَا أَنَّ سَمَاعَهُ إِيَّاهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ لَمْ يَقِفْ أَمْرُهُ عَلَى سَمَاعِهِ وَلَا تَكُونُ حُجَّةً إِلَّا وَهِيَ مُعْجِزَةٌ.

وَقَالَ تَعَالَى: **{وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ}**(٢)، فأخبرأن الْكِتَابَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ، وَأَنَّهُ كَافٍ فِي الدَّلَالَةِ قَائِمٌ مَقَامَ مُعْجِزَاتِ غَيْرِهِ وَآيَاتِ من سِوَاهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.(٣)

وذلك أنهم كانواْ يسألون النبى ﷺ آيات يقترحونها عليه فقد سألوه أن يجعل الصفا ذهبًا وأن يجري بمكة نهرًا. كما سألوه مثل آيات الأنبياء قبله كما جاء صالح بالناقة وموسى بالعصا وعيسى بإحياء الموتى، فأرشده المولى أن يقول **{قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ}** أي أن الله هو الذي يعطي ما يشاء من الآيات لمن يشاء من الأنبياء بحسب ما يرى من المصلحة، ولذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها وإنما جاء كل نبي بنوع منها. **{وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ}** يعني أن النبي ﷺ مندوب للإنذار والبيان لا لما يقترح عليه من الآيات، وإنما يلزم أن يأتي بما يشهد بصدقه من المعجزات، وقد فعل الله ذلك فأجابهم به فقال: **{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ}** يعني

---

(١)التوبة:٦.

(٢)العنكبوت: ٥٠، ٥١.

(٣)البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، ج٢ ص ٩٠، ٩١ ،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م،الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

القرآن يتلى عليهم، وفيه وجهان: أحدهما: أولم يكفهم من الآيات التي سألوها أنا أنزلنا عليك الكتاب آية لك ودليلًا على صدقك لما فيه من الإعجاز في نظمه وصدق خبره وصحة وعده؟ الثاني: أنه محمول على ما روى فى سبب نزول الآية: أن النبي ﷺ أتى بكتاب في كتف(١) فقال: كفى بقوم حمقًا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فأنزل الله **{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ}**(٢).

الدليل الثانى: آيات التحدى:

نزل القرآن على نبيينا الكريم ﷺ فظنه العرب أول وهلة من كلام النبي-ﷺ-، وباتوا ينتظرون أن يعتريه النقص والفتور والإضطراب بعد فترة من الزمن، كما يعتري الطبع الإنساني من الفترة بعد الإستمرار، والتراجع بعد الإستقرار، ومن اضطراب القوة البيانية بعد إمعانها، فإذا هوصنف مختلف

(١الكَتِف: عَظْم عَرِيضٌ يَكُونُ فِي أَصْلِ كَتِف الْحَيَوَانِ مِنَ النَّاس والدَّوَابّ، كَانُوا يَكْتُبون فِيهِ لِقِلَّة القراطِيس عِنْدهم. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر،المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) ،ج٤ ص ١٥٠الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م،تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

(٢)تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)/ج٤ ص ٢٨٨، ٢٨٩بتصرف، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان/ وينظر: لباب النقول في أسباب النزول، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ص ١٥٢، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

تمامًا عن صنوف كلامهم، ديباجته كالسماء في استوائها، لا وهن ولا صدع، وإذا عصمة قوية، وكلام يحارون فيه بدءًا وعاقبة. وقد كان من عادتهم أن يتحدى بعضهم بعضًا في المساجلة والمعارضة بالقَصيد والخطب، ثقةَ منهم بقوة الطبع، ولأن ذلك مذهب من مفاخرهم، يستَعلون به ويذيع لهم حسن الذكر وعلو الكلمة، وهم مجبولون عليه فطرة.

ولهم فيه المواقف والمقامات في أسواقهم ومجامعهم، فتحداهم القرآن في آيات كثيرة أن يأتوا بمثله أو بعضه، وسلك إلى ذلك طريقًا كأنها قضية من قضايا المنطق التاريخي،حيث لم يقتصر طلب المعارضة على الإتيان بمثله فقط، بل تنوع فى طلب ذلك.(١)

وأول ما نزل من آيات التحدى، آية الإسراء المكية، ردًّا على من جحدوا نبوة الرسول لكونه بَشَرًا مثلهم، فكان إعجاز القرآن مع الإقرار ببشرية الرسول . عليه الصلاة والسلام . ، تحديًا جهيرًا لهؤلاء الذين أبوا إلا كفورًا واستكبارًا: **{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا}**(٢) .

دلت الآيتان على أن القرآن معجزة الرسول ﷺ، حيث تحداهم مجتمعين،

---

(١)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد ابن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)/ ص ١١٧، ١١٨، بتصرف/الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت/الطبعة الثامنة– ١٤٢٥ هـ– ٢٠٠٥ م.

(٢)الإسراء: ٨٨، ٨٩.

إنسًا وجنًا، أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وهذه هي قضية الإعجاز مطروحة عليهم، وهم قوم لُدَّ خَصِمُون.

وبعد أن ألقى القرآن هذا التحدي العام، في آية الإسراء، نزلت بعدها آية يونس تتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فحسب، مثل هذا القرآن، وليدعوا من استطاعوا من دون الله: **{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ}**(١).

والمشهور في سورة يونس أنها نزلت بمكة بعد الإسراء مباشرة، إلا الآيات ٤٠، ٩٤، ٩٥، ٩٦ فنزلت بالمدينة(٢)، وآية التحدي هي الثامنة والثلاثون فهي في حيز المكيات. والتحدي فيها بسورة واحدة، قطعًا للجدل وتقوية للحجة.

ولما زعموا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم افتراه، تحداهم أولًا أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وإنه لبشر مثلهم؟ وبهذا تحدتهم آية هود التي نزلت بعد سورة يونس مباشرة: **{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}**(٣).

ثم تحداهم بعد ذلك أن يأتوا بحديث مثله حيث نطقت بذلك آية

---

(١)يونس: ٣٨، ٣٩.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ج١ ص ١٥.

(٣)هود:١٣، ١٤.

الطور: {**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**}(١).

وكل هذه الآيات في المعاجزة نزلت قبل الهجرة، وفي مستهل العهد المدني نزلت آية البقرة، أولى السور المدنيات، والتحدي فيها بسورة من مثله إنهاء لهذا الجدل الذي طال: {**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**}(٢)، (٣).

فى هاتين الآيتين أرشدهم المولى . عزوجل . إلى الجهة التي منها يتعرّفون أمر النبي ﷺ وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسرّه وامتياز حقه من باطله. قال لهم فإذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم أنه معجوز عنه، فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعدّ لمن كذب. وفيه دليلان على إثبات النبوّة: صحة كون

---

(١)الطور: ٣٠ . ٣٤.

(٢)البقرة: ٢٣، ٢٤.

(٣)الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق/المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)، ص ٦٧، ٦٨ بتصرف/ الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثالثة.

المتحدى به معجزًا، والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله.(١)

وبذلك حسمت قضية التحدى، وثبت عجزهم وهم الفصحاء اللد وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعا للحجة، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العناد تارة وإلى الاستهزاء أخرى، فتارة قالوا: "سحر"، وتارة قالوا: "شعر"، وتارة قالوا: "أساطير الأولين"؛ كل ذلك من التحير والانقطاع، ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم وسبي ذراريهم وحرمهم واستباحة أموالهم وقد كانوا آنف شيء وأشده حمية، فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه لأنه كان أهون عليهم(٢).

وبذلك ظهرت لنا الحكمة من هذا التحدي وذكرِهِ في القرآن، وهي أن يشهد التاريخ في كل عصر بعجز العرب عنه،وهم الخطباء اللدُّ والفصحاء اللسن، حيث كانوا مَظنةَ المعارضة والقدرة عليها،حتى لا يجيء بعد ذلك فيما يجيء من الزمن، من يزعم أن العرب كانوا قادرين على مثله، وأنه غير معجز.(٣)

الدليل الثالث: من دلائل إعجاز القرآن صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس : إن القرآن الكريم إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، بخلاف ما سواه من الكلام منظومًا كان أو منثورًا.

---

(١)الكشاف ج١ ص١٠١.

(٢)الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص ٥.

(٣)إعجازالقرآن والبلاغة النبوية ص ١١٨، ١١٩ بتصرف.

فكم من عدو للرسول ﷺ، من رجال العرب وفتاكها، أقبلوا يريدون إغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم إيمانًا ".(١)

والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها قصة إسلام عمر بن الخطاب . رضى الله عنه .: وقد ذكر فيها روايات كثيرة أشهرها:أن عمر خرج متوشحًا بسيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطًا من أصحابه قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين بين رجال ونساء. وفي الطريق لقيه نعيم بن عبد الله فسأله عن وجهته، فأخبره بغرضه، فحذره بني عبد مناف، ودعاه أن يرجع إلى بعض أهله: ختنه سعيد بن زيد بن عمرو، وأخته فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد، قد صبآ عن دينهما.

فذهب إليهما عمر، وهناك سمع خبابًا(٢) يتلو عليهما القرآن، فاقتحم الباب، وبطش بختنه سعيد، وشج أخته فاطمة... ثم أخذ الصحيفة بعد حوار، وفيها سورة طه، لما قرأ صدرًا منها قال: "ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! ". ثم ذهب إلى النبي-ﷺ- فأعلن إسلامه. فكبر النبي تكبيرة عرف

---

(١)إعجاز القرآن للباقلاني ص ١٧بتصرف.

(٢)خباب بن الأرت : من السابقين إلى الإسلام ، سادس ستة في الإسلام، كان ممن عذب في الله ، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ينظر : أسد الغابة المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ، ج١ ٥٩١، الناشر: دار الفكر – بيروت ، عام النشر: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

أهل البيت من أصحابه أن عمر قد أسلم(١).

لم يكن تأثير القرآن فى من آمن فقط، بل كان له تأثير أيضًا فى من تولى وكفر، وأقر الكفار بذلك، والحق ما شهدت به الأعداء، وقد روى فى ذلك الشأن نماذج كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال، نموذج الوليد ابن المغيرة:

إن الوليد بن المغيرة سمع شيئًا من القرآن الكريم فكأنما رق له فقالت قريش: صبأ والله الوليد، ولتصبون قريش كلهم.

فأوفدوا إليه أبا جهل يثير كبرياءه واعتزازه بنسبه وماله، ويطلب إليه أن يقول في القرآن قولًا يعلم به قومه أنه له كاره. قال: "فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم مني بالشعر ولا برجزه، ولا بقصيده ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقوله شيئًا من هذا.

والله: إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى". قال أبو جهل: والله لا يرضي قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني أفكر فيه. فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يأثره عن غيره.(٢)

وقد سجل القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: {**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ**

---

(١)ينظر: السير والمغازي/المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)/ ج ١ ص ١٨١، ١٨٢، ١٨٣ بايجاز/ تحقيق: سهيل زكار/الناشر: دار الفكر – بيروت/الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٢)جامع البيان في تأويل القرآن/المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)/ج٢٤ ص ٢٤/المحقق: أحمد محمد شاكر/ الناشر: مؤسسة الرسالة/الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م.

كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ}(١)، وتلك قولة رجل يتقاعس عن الإسلام، ويتكبر أن يسلم لمحمد، ويعتز بنسبه وماله وولده، وليست قولة رجل آمن، فهو يعلل عدم إيمانه بهذا السحر الذي لا يغالب! وإنها لأدل على "سحر القرآن" للعرب، من كل كلام يقوله المؤمنون؛ لأنها لا تقال ولدى قائلها حيلة للسكوت عنها، أو مفر من الاعتراف بها!

ومن هنا تلتقي قصة الكفر بقصة الإيمان، في الإقرار بسحر هذا القرآن؛ وتلتقي على الإقرار به شخصيتان قويتان، بينهما من المدى في الإختلاف ما بين عمر بن الخطاب والوليد بن المغيرة. فتشرح التقوى صدر عمر للإسلام، ويصد الكبرياء الوليد عن الإذعان؛ ويذهبان في طريقيهما متدابرين، بعد أن يلتقيا في نقطة واحدة: نقطة الإقرار بسحر القرآن وتأثيره فى النفوس".(٢)

ومما يدلل أيضًا على إعجاز القرآن عن طريق تأثيره فى نفس من يسمعه حرص طواغيت الوثنية من قريش، على أن يحولوا بين العرب وبين سماع هذا القرآن. فكانوا إذا دنا الموسم وآن وفود قبائل العرب للحج، ترصدوا لها عند مداخل مكة، وأخذوا بسبل الناس لا يمر بهم أحد إلا حذروه من الإصغاء إلى ما جاء به "محمد بن عبد الله" من كلام قالوا إنه السحر يفرق بين المرء وأبيه وأخيه، وبين المرء وزوجه وولده وعشيرته.(٣)

---

(١)المدثر : ١٨، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

(٢)التصور الفني في القرآن/المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)/ص ١٤/الناشر: دار الشروق/الطبعة: الطبقة الشرعية السابعة عشر.

(٣)الإعجاز البيانى ص ٤٠ بإيجاز.

وقد روى أيضا أن من طواغيت قريش وصناديد الوثنية العتاة من كانوا يتسللون في أوائل عصر المبعث خفية عن قومهم، ليسمعوا آيات هذا القرآن دون أن يملكوا إرادتهم: روى "ابن إسحاق" في السيرة أن أبا سفيان بن حرب الأموي، وأبا جهل بن هشام المخزومي، والأخنس بن شريق الزهري، خرجوا ذات ليلة متفرقين على غير موعد إلى حيث يستمعون من رسول الله- ﷺ- وهو يصلي ويتلو القرآن في بيته. فأخذ كل رجل منهم مجلسًا يستمع فيه، ولا أحد منهم يعلم بمكان صاحبيه. فباتوا يستمعون إليه حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض:"لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة التالية. عاد كل منهم إلى مجلسه لا يدري بمكان صاحبيه فباتوا يستمعون إلى القرآن حتى طلع الفجر فتفرقوا وجمعهم الطريق فتلاوموا، وانصرفوا على ألا يعودوا".لكنهم عادوا فتسللوا في الليل وباتوا يستمعون إلى القرآن ، فلما أصبح الأخنس ابن شريق أخذ عصا ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: حدثني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة، والله سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وأشياء ما أعرف معناها ولا ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت له، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم: ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى تدرك هذه؟! والله لا نؤمن

به أبدًا، ولا نصدقه؛ فقام عنه الأخنس بن شريق.(١)

وبذلك يظهر لنا أن القرآن الكريم كما أسر بكلماته وعباراته قلوب المؤمنين فعل ذلك أيضا بقلوب الكافرين، حيث لم يستطع هؤلاء الثلاثة ـ وهم من صناديد الكفر آن ذاك ـ أن ينتهوا عن سماعه وما ذلك إلا دليلًا على إعجازه.

(١) سيرة ابن إسحاق ج١ ص ١٨٩، ١٩٠.

المطلب الرابع

وجوه إعجاز القرآن الكريم

وجوه الإعجاز: هى الأمور التي اشتمل عليها القرآن، وهي تدل على أنه من عند الله.

اختلفت مذاهب العلماء وتعددت أقوالهم في بيان وجوه الإعجاز، فمنهم من عدها ثلاثة، ومنهم من عدها أربعة، وعدها البعض عشرة، ومنهم من توسع في عدها، وقد عدها الإمام السيوطى خمسًا وثلاثين، وإن كانت بعض الأوجه لا تعد من إعجازه . بإقرار السيوطى نفسه . ولكنه ذكرها للإطلاع على بعض معانيه، فيثلج صدر قارئه، وتبتهج نفسه، ولعله أراد بذلك أن يقف على أسراره فيقر بإعجازه(١).

ويرى الشيخ عبد العظيم الزرقانى أن السبب في غزارة هذه الوجوه واختلافها يرجع إلى وجهة نظر قائلها،وما يعن له من أسرار؛ وذلك لأن الناظر في القرآن الكريم بإنصاف تتراءى له وجوه كثيرة مختلفة من الإعجاز كما تتراءى للناظر إلى قطعة من الماس ألوان عجيبة متعددة بتعدد ما فيها من زوايا وأضلاع، ومختلفة باختلاف ما يكون عليه الناظر وما تكون عليه قطعة الماس من الأوضاع.(٢)

وسوف أتناول فى هذا المبحث ما ترآى لعلماءنا الأفاضل من وجوه الإعجاز فى القرآن مبتدأة بما اتفقوا على أنه الغالب فى عموم القرآن والأكثر

---

(١)ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج ١ ص ١١.

(٢)مناهل العرفان ج ٢ ص ٣٣٢.

وضوحا، ثم أختم بما اختلفوا فى عده وجها للإعجاز، وما اعتبروه قولا فاسدا:

الوجه الأول: بلاغة القرآن:

قرر الإمام الباقلانى أن إعجاز القرآن يرجع إلى ثلاثة وجوه، واعتبر البلاغة وجها منها حيث قال: "وأما الوجه الثالث: فإنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه."(١)

ويرى القاضى عياض أن الإعجاز القرآني ينحصر في أربعة أوجه، وجهان منها يتعلقان بالناحية البلاغية وهما:

أولها: حُسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب.

وثانيها: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفت مقاطع آيِه وانتهت فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له.

ويعلل القاضي عياض للأسباب التي جعلت من حسن تأليف القرآن والتئام كلمه وجها من أوجه الإعجاز التي تميّز بها؛ فيقول: "وذلك أنهم (أي العرب) كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام؛ فقد خُصّوا من البلاغة والحكم بما لم يُخصّ به غيرهم من الأمم،وأوتوا من ذرابة اللسان(٢) ما لم يُؤتَ إنسان، فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد،وهم (أي العرب) أفسح ما كانوا في

---

(١)أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني، ص ١٧.

٢) ذرابة اللسان : حدة اللسان . ينظر: لسان العرب ، فصل الذال المعجمة ، مادة ذرب ، ج١ ص ٣٨٦.

هذا الباب مجالًا، وأشهر في الخطابة رجالًا، وأكثر في السجع والشعر سجالًا، وأوسع في الغريب واللغة مقالًا، بلغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعهم التي عنها يتناضلون، صارخًا بهم في كل حينٍ، ومقرعًا لهم بضعًا وعشرين عاما على رؤوس الملأ أجمعين: **{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}**"(١).

وعن الوجه الثاني: وهو صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، يقول القاضي عياض: "إنه لم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقولهم، وتدلَّهت دُونَه أحلامهم، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم؛ من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر"(٢).

واعتبر الإمام ابن عطية هذا الوجه هو الصحيح فقال:" وكفار العرب لم يمكنهم قط أن ينكروا أن رصف القرآن ونظمه وفصاحته متلقى من قبل محمد ﷺ، فإذا تحديت إلى ذلك وعجزت فيه علم كل فصيح ضرورة أن هذا نبي يأتي بما ليس في قدرة البشر الإتيان به، إلا أن يخص الله تعالى من يشاء من عباده. وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في

---

(١)البقرة: ٢٣.

(٢)القاضي عياض ومفهومه للإعجاز القرآني، المؤلف: أحمد جمال العمري، ص١٧، ١٨، ١٩بإيجاز، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/الطبعة: السنة العاشرة– العدد الثاني– ١٣٩٧هـ– ١٩٧٧ م.

نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه"(١).

وذكر الإمام القرطبى عشرة أوجه لإعجاز القرآن أربعا منها تدور كلها فى فلك البلاغة وهى:

النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها، والأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب،والجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، والتصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي، حتى يقع منها للإتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وكل حرف في موضع باعتبار أنَّ القرآن الكريم فيه الكلمات من لهجات العرب، أو لغاتهم.

وما ذكر من النظم، والأسلوب، والجزالة، لازم فى كل سورة، بل لازم فى كل آية، وبمجموعه يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدي والتعجيز (٢).

وإذا أمعنا النظر في هذه الأوجه يتبين لنا أنها لا تخرج عن البلاغة، وأن الإمام القرطبى يرى أنها منتظمة في كل سور القرآن لا تنفك عنها، ولذا فهى مناط الإعجاز.

---

(١)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)/ ج ١ ص ٥٢/ المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد/ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ الطبعة: الأولى- ١٤٢٢ هـ.

(٢)ينظر :الجامع لأحكام القرآن ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ج ١ ص ٧٣بتصرف يسير/ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة/ الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤ م.

كما ذكر الإمام الزركشى وجوها متعددة للإعجاز أذكر منها ما ينتظم تحت الوجه البلاغى:

١ ـ أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيبًا وزنة، وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى.

٢ ـ أن وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب وغير ذلك مقترنًا بالتحدي.

٣ ـ أن الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارًا لا توجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعرض الفترات الإنسانية فتقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في تفاريق وأجزاء منه (١).

وإذا تدبرنا الأقوال السابقة يتبين لنا مع اختلاف ألفاظها ومعانيها أنها جميعا تتحدث عن بلاغة القرآن سواء فى لفظه أو نظمه، وأساليبه وتراكيبه.

وبذلك يظهر لنا أن الكثير من الأوجه التى عدها العلماء واعتبروها وجوها مستقلة تنتظم تحت الوجه البلاغى.

الوجه الثانى: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، ماض وحاضر ومستقبل، فمثال الغيب المستقبل: كقوله تعالى: **{لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إن**

---

(١)ينظر : البرهان في علوم القرآن ج٢ ص ٩٥. ١٠١ بإيجاز.

شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}(١)، وقوله تعالى: **{الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}**(٢)، **{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}**(٣)، **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا}**(٤).

فكان جميع هذا كما قال؛ فغلبت الروم فارس في بضع سنين، ودخل الناس في الإسلام أفواجًا، فما مات ﷺ وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام، واستخلف الله المؤمنين في الأرض، ومكّن فيها دينهم، وملّكهم إيّاها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب(٥).

أما الغيب الماضى: فإنه معلوم من حال النبي ﷺ أنه كان أميًّا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفًا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئًا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتي بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير، من حين خلق الله آدم . عليه السلام . إلى حين مبعثه(٦).

ودلّل القاضي عياض على دقة هذا الوجه فقال: "وقد كان أهل الكتاب

---

(١)الفتح: ٢٧.

(٢) الروم: ٢، ٣.

(٣)الصف: ٩.

(٤)النور: ٥٥.

(٥)ينظر: القاضى عياض ومفهومه للإعجاز ص ٢١، معترك الأقران ج١ ص١٨٠.

(٦)ينظر: أبو بكر الباقلانى ومفهومه للإعجاز ص ١٨، البرهان في علوم القرآن ج٢ ص ٩٦.

كثيرًا ما يسألونه- ﷺ- عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرًا، كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر موسى والخضر، ويوسف وإخوته، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، ولقمان وابنه، وأشباه ذلك من الأنباء، وبدء الخلق، وما في التوراة والإنجيل والزّبور وصحف إبراهيم وموسى مما صدّقه فيه العلماء بها، فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدّة عداوتهم له، وحرصهم على تكذيبه، وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم أنه أنكر ذلك أو كذّبه، بل أكثرهم صرّح بصحة نبوّته وصدق مقالته، واعترف بعناده وحسده إياه"(١).

غيب الحاضر:

أما غيب الحاضر فهو ما يتصل بالله تعالى والملائكة والجن والجنة والنار ونحو ذلك مما لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم سبيل إلى رؤيته ولا العلم به فضلًا عن أن يتحدث عنه على هذا الوجه الواضح الذي أيده ما جاء به الأنبياء وكتبهم . عليهم الصلاة والسلام . ، وأمثلة هذا الضرب كثيرة في القرآن منها على سبيل المثال لا الحصر:

ما فضح الله به المنافقين في عصر الرسول ﷺ مما كان قائمًا بهم وخفي أمره عليه كقوله: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}**(٢) وكقوله في مسجد

---

(١)القاضى عياض ومفهومه للإعجاز ص ٢٢بإيجاز.

(٢)البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥.

الضرار الذي بناه المنافقون: **{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}**(١).

وسورة التوبة فيها من هذا الضرب شيء كثير(٢).

ودليل إعجاز هذا الوجه: أن هذه الكثرة الغامرة من الأخبار الغيبية فى القرآن لم تتخلف منها قط نبوءة واحدة، بل وقعت كما أنبأ على الحال الذي أنبأ، ولو تخلفت واحدة لقامت الدنيا وقعدت،وطبل أعداؤه ورقصوا فرحًا بالعثور على سقطة لهذا الذي جاءهم من فوقهم، وتحداهم بما ليس في طوقهم وسفه معبوداتهم ومعبودات آبائهم، ولو كان ذلك لنقل وتواتر ما دامت هذه الدواعي متوافرة على نقله وتواتره(٣).

ولا شَك في أن الإخبار بالغيب نوع من أنواع إعجازالقرآن، ولكنه ليس بالأمر العام في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها(٤).

الوجه الثالث: علومه ومعارفه: اعتبر الإمام القرطبى علوم القرآن ومعارفه من وجوه إعجازه فقال: "ومنها ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام"(٥).

---

(١)التوبة: ١٠٧.

(٢)مناهل العرفان ج٢ ص ٣٦٨.

(٣)المرجع السابق نفس الجزء ص ٣٨١.

(٤)الإعجاز البيانى للقرآن ص ٩٢.

(٥)الجامع لأحكام القرآن ج١ ص ٧٥.

وقد عد الإمام القرطبى هذا لونًا من الإعجاز؛ لأن القرآن قد اشتمل على علوم ومعارف في هداية الخلق إلى الحق بلغت مبلغًا يستحيل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو رجل أمي نشأ بين الأميين أن يأتي بها من عند نفسه.

ويعتبر هذا الوجه من أقوى أسباب الإعجاز، وبه القرآن يكون معجزًا لكل الناس، لا للعرب وحدهم، ولا لجيل من الأجيال، بل يكون معجزًا للأجيال كلها، وذلك لما اشتمل عليه القرآن من أحكام سواء ما كان منها يتعلق بالأسرة أو ما يتعلق بالمجتمع، وما يتعلق بالعلاقات الدولية، فريد في بابه لم يسبقه شرع سابق، ولم يلحق بما وصل إليه شرع لاحق، وإذا ما كان ذلك كله قد جاء على لسان أمي لا يقرأ ولا يكتب، لم يتعلم قط لا بالقلم والقرطاس، ولا بالتلقين والتوقيف، ولا بالتجربة والأسفار، إن ذلك هو الإعجاز الذي تتيه العقول في تعرف سببه، إلا أن يكون ذلك من عند الله العلي الحكيم(١).

الوجه الخامس: الحقائق العلمية في القرآن:

لم تقف موضوعات آيات القرآن الكريم على بيان الحلال والحرام والهدايات التى تنظم للناس الحياة في شتى المجالات، بل جاء فى ثنايا آياته الحديث عن الكون ومعالمه وبعض ظواهره، والتى كانت مفتاحًا للكثير من

---

(١)شريعة القرآن من دلائل إعجازه، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، ص ١٠، الناشر: دار العروبة – القاهرة، عام النشر: ١٣٨١ هـ- ١٩٦١ م.

العلوم في العصر الحديث مثل: الشمس والقمر والنجوم والكواكب والبرق والرعد والصواعق والليل والنهار وتعاقبهما، والأرض والسماء والجبال والبحار والأنهار والحيوان والنبات، وأطوار خلق الإنسان وغير ذلك مما لا يتسع المقام بذكره.

ولقد جاءت هذه المفردات في ثنايا الآيات القرآنية للتدليل على عظمة الخالق وقدرته المطلقة، وكذلك للتفكر والتدبر فيصل الإنسان إلى معرفة ربه وصفاته فيقر له بالألوهية ويذعن له بالربوبية، قال تعالى **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ}**(١)، جاءت أيضًا هذه الايات لكى يتبدبرها الإنسان فيعى ما فيها من منافع وفوائد فيشكر الواهب.

وفي العصر الحديث لم يقف بعض العلماء على الهدايات الظاهرة من هذه الآيات، بل نادوا بوجود وجه جديد ينضاف لأوجه الإعجاز التى ذكرها علماؤنا الأوائل، هذا الوجه لا يتنبه إليه العقل إلا بعد أن ينشط ويكتشف المستور عنه من حقائق الكون وأسراره، حينئذ يتبين أن للقرآن وجوهَ إعجازٍ أخرى أو جديدة تزيد في معنى الإعجاز وهو ما يعرف بالإعجاز العلمى(٢).

وكان من الأسباب التى جعلت العلماء يهتمون بإبراز هذا الوجه:

١ ـ تفوق الغرب على المسلمين في العلوم والفنون والآداب وبخاصة

---

(١)آل عمران:١٩٠.

(٢)ينظر: عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، المؤلف: حسن عبد الفتاح أحمد، ص ٧٨، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

علم التكنولوجيا الأمر الذى جعل ضعاف العقول يسيئون الظن بالإسلام ويحسبون أنه سبب قصورهم وتخلفهم في ذلك المضمار، وهم في ذلك الوهم نسوا أو تناسوا أن الدين الإسلامي بقرآنه المجيد وسنته المطهرة هو الذى جعل من العرب أهل البادية خير أمة أخرجت للناس،وأسسوا أعظم الدول وأرقى الحضارات ، وهذا ما جعل العلماء يهتمون بإبراز الحقائق العلمية الموجودة في القرآن.

٢ . كان من الآثار السلبية للغزو الفكرى الذى غزا بلاد الإسلام أن أعداءنا أوهموا بعض المسلمين أن العلم والدين متباعدان وأن كلا منهما مستقل عن الآخر،لكن الواقع أنهما صنوان متكاملان أصلًا ومتحدان غاية ومنهجًا لخدمة البشرية، فلا الدين يجافى العلم ولا العلم يعارض الدين، بل إن الدين بدوره يحض على طلب العلم والإستزادة منه، كما أن نور العلم يظهر لنا ما في الدين من جلال وبهاء وسمو روحي.

وعندما جدد العلماء النظر في القرآن الكريم وحاولوا فهمه فهمًا عصريًا وتفسيره في ضوء هذه العلوم الحديثة ظهر بوضوح أن آيات القرآن الكريم لها معان أوسع وأشمل مما فهم العلماء السابقون منها، وتبين بجلاء أن القرآن الكريم جاء بكثير من حقائق الكون ونواميسه وأصول العلوم الحديثة قبل أن يهتدى الإنسان إلى معرفتها بمئات السنين وهذا هو الإعجاز كل الإعجاز الكامن في القرآن وأسرار آياته(١).

---

(١)ينظر: القرآن وإعجازه العلمي/ المؤلف: محمد إسماعيل إبراهيم/ ص ٤، ٥، ٦ بإيجاز وتصرف/ الناشر: دار الفكر العربي– دار الثقافة العربية للطباعة.

ولكن بعض الباحثين طاب لهم أن يتوسعوا في علوم القرآن ومعارفه، فنظموا في سلكها ما بدا لهم من علوم الكون وهم في ذلك مخطئون ومسرفون وإن كانت نيتهم حسنة وشعورهم نبيلًا،ولكن النية والشعور مهما حسنا لا يسوغان أن يحكي الإنسان غير الواقع ويحمل كتاب الله على ما ليس من وظيفته خصوصًا بعد أن أعلن الكتاب نفسه هذه الوظيفة وحددها مرات كثيرة، منها قوله سبحانه: **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}**(١)، ومنها قوله جلت حكمته: **{قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}**(٢)، (٣).

ولذلك عارض بعض العلماء هذا الوجه ولم يعتبروه وجهًا لإعجاز القرآن، ومن أنكره من العلماء المتقدمين الإمام الشاطبى، والإمام أبوحيان الأندلسى، ومن العلماء المعاصرين الشيخ محمود شلتوت، والدكتورأمين الخولى، وبنت الشاطئ وقالت فى هذا الشأن: "لا أحد يحجر على أي إنسان في أن يفهم القرآن كما يشاء، ولكن المحنة أن يؤلف فيه من ليسوا من أهل الإختصاص، وتروج في البيئة الإسلامية أقاويل وتأويلات مقحمة على القرآن نصًا وروحًا، لا يعرف لها فقهاء العربية والإسلام والمتخصصون في القرآن، سندًا ولا دليلًا، وإنما تستند إلى ملتقطات من معارف المحدثين في التشريح وعلم الأجنة ورياضيات الفلك وبيولوجيا القمر والتكنولوجيا .....

---

(١)البقرة:٢

(٢)المائدة:١٥، ١٦.

(٣)مناهل العرفان ج٢ ص ٣٥٤.

ولا شيء من هذا صح في أي خبر أن الرسول . عليه الصلاة والسلام . قاله لتلاميذه الصحابة لكي يفهموا هذا الإعجاز العلمي، فضلًا عن أن يبينوه للناس."(١)

وقد اعتبره من العلماء المتقدمين الإمام الغزالى، حيث وضع الأسس النظرية للتفسير العلمى، وروج له ومهد السبيل لمن أراد سلوكه، وجاء من بعده الفخر الرازى، حيث التزم هذا النوع التزامًا بلغت درجته فيه أن قيل عن تفسيره فيه كل شيء إلا التفسير (٢).

وأيده من العلماء المعاصرين الشيخ المراغى، والشيخ طنطاوى جوهرى، والشيخ عبد العظيم الزرقانى، والشيخ الشعراوى.

ووضع العلماء شروطًا لمن يتأهل لإبراز هذا الوجه،ومن هذه الشروط:

١- خضوع التفسير لدلالات اللغة العربية وقواعدها التي لا خلاف عليها.

٢- خضوعه لقواعد تفسير النصوص المتفق عليها كأحكام العموم والخصوص والإطلاق والتقييد والمنطوق والمفهوم وما إلى ذلك من قواعد.

٣- ألا يتعارض التفسير معارضة حادة مع مضمون أي آية أخرى في القرآن بحيث لا يمكن الجمع بينهما بحال تحت ظل أي قاعدة من قواعد

---

(١)الإعجاز البيانى ص ٩٦.

(٢)اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ج٢ ص ٥٥٥، الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

تفسير النصوص.

٤- ألا يتعارض التفسير معارضة حادة مع الدلالة الثابتة لنص حديث نبوي صحيح بحيث لا تترك هذه المعارضة سبيلًا سائغًا للتوفيق بينهما.

٥ ـ أن الحقائق العلمية القاطعة التى يستحيل الشك فيها هى التى تقبل التطبيق على آيات القرآن الكريم، ولا يجوز لنا أن نطبق النظريات العلمية التى بين الأخذ والرد على الآيات القرآنية، فالقرآن لا تُرْبَطُ صحتُه باتفاقه مع نظرية علمية أيًا كانت ولكن العلم هو الذي يستمد صحته وبيانه إذا اتفق مع آيات القرآن الكريم(١).

وبذلك يتبين لنا أن الذين يقولون إن القرآن لم يأت ككتاب علم صادقون؛ ذلك أنه كتاب أتى ليعلمنا الأحكام، ولم يأت ليعلمنا الجغرافيا أو الكيمياء أو الطبيعة، وفي نفس الوقت عندما نقول إن القرآن ذكر لنا معجزات لم يصل إلى بعضها العلم حتى الآن فهذا صحيح أيضًا؛ لأن هذه المعجزات هى إشارات ودلائل لمسلمات حقيقية ثابتة لا تقبل التغيير مع مرور الزمن وتقدم العلم.(٢)

الوجه السادس: القول بالصرفة:

مع وضوح ما سبق من الوجوه، وتضافرها فى الدلالة على إعجاز اللفظ القرآنى وتأثير نظمه وأسلوبه فى قلوب سامعيه، وعجز العرب عن معارضته

---

(١)عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز ص ٨٤.

(٢)معجزة القرآن، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، ص٤٧بتصرف، الناشر: المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع.– القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨م.

ظهر من المسلمين من يقول إن ذلك العجزعن التحدى والمعارضة كان سببه الصرفة، والصرفة فكرة هندية عرفها فلاسفة المسلمين لما ترجمت كتب الثقافة الهندية، حيث اطلع بعض المتفلسفين من علماء المسلمين على أقوال البراهمة في كتابهم "الفيدا"، وهو الذي يشتمل على مجموعة من الأشعار، ليس في كلام الناس ما يماثلها في زعمهم، ويقول جمهور علمائهم: إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثلها؛ لأنَّ براهما صرفهم عن أن يأتوا بمثلها، فتلقَّف هذه الفكرة مجموعة من المتكلمين، فدفعتهم الفلسفة إلى أن يعتنقوا ذلك القول، ويطبقوه على القرآن، وإن كان لا ينطبق(١).

ومعنى الصرفة: أن الله صرف الهمم عن معارضة القرآن، وإن كانت مقدورًا عليها، غير معجوز عنها، إلا أن العائق من حيث كان أمرًا خارجًا عن مجارى العادات صار كسائر المعجزات.(٢)

ومن دعا بذلك القول: أبو إسحاق إبراهيم النَّظام من علماء المعتزلة(٣)، وكذلك المرتضى من الشيعة(٤)،حيث يرى أن معنى الصرفة أن الله سلبهم

---

(١)المعجزة الكبرى القرآن/المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)/ص ٥٧، ٥٨بتصرف/الناشر: دار الفكر العربي.

(٢)إعجاز القرآن للباقلاني ص ١٣ .

(٣)أبو اسحاق النظام: إبراهيم بن سيار بن هانىء البصرى، من أئمة المعتزلة، كان شاعرًا أديبًا بليغًا، تبحر في علوم الفلسفة، وكان له آراء خاصة، أتهم بسببها بالزندقة. ينظر: (الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، ج١ ص ٤٣، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – ٢٠٠٢ م) .

(٤)الشريف المرتضى: أبوالقاسم على بن أحمد بن موسى العلوى، من أئمة الشيعة، له =

العلوم التي يُحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن، فكأنه يقول إنهم بلغاء يقدرون على مثل النظم والأسلوب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من المعاني؛ إذ لم يكونوا أهل علم ولا كان العلم في زمنهم، وهذا يتعارض مع ما كان عليه العرب من الفصاحة والبلاغة آنذاك.

وممن قالوا بالصرفة أيضًا : ابن حزم الأندلسي(١)، فقد قال في سبب الإعجاز: "لم يقل أحد إنَّ كلام غير الله تعالى معجز، لكن لمَّا قاله الله تعالى، وجعله كلامًا له، أصاره معجزًا، ومنع من مماثلته وهذا برهان كاف لا يحتاج إلى غيره".(٢)

ويبدو من كلام ابن حزم أن السبب فى إعجاز القرآن هو أمر خارجى بعيد عن اللفظ القرآنى ويرجع إلى قدرة الله فى منع العرب من الإتيان بمثله.

وهذه الأقوال يلزم عنها أن سبب عجز العرب عن معارضة القرآن أمور خارجة عن اللفظ القرآنى ونظمه وهذه الأمور هى:

أولها: أن بواعث هذه المعارضة ودواعيها لم تتوافر لديهم.

= تصانيف على مذاهبهم، كان إمامًا في علم الكلام والأدب والشعر. ينظر: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، ج٣ ص ٣١٣، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: ١٩٠٠م).

(١)ابن حزم الأندلسى: على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى، ولد بقرطبة، عالم الأندلس في عصره، وإمام من أئمة الإسلام، كانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، كان فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة. ينظر: (الأعلام للزركلى ح٤ ص ٢٥٤).

(٢) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٠١.

ثانيها: أن صارفًا إليها زهدهم في المعارضة فلم تتعلق بها إرادتهم ولم تنبعث إليها عزائمهم فكسلوا وقعدوا على رغم توافر البواعث والدواعي.

ثالثها: أن العرب إذ ذاك قد تراجعت حالها فى الفصاحة والبلاغة ووجوه النظم، وأنه حدث نقصان فى بلاغتهم.(١)

بيان فساد القول بالصرفة: إن القول بالصرفة وما لزم عنه من افتراضات مردود بالأدلة النقلية والعقلية لما يلى:

أولا: بيان فساد الفرض الأول:أثبت القرآن الكريم أن الله تعالت قدرته تحدى العرب أن يأتوا بمثل القرآن وثبت عجز العرب مع توافر القوى الداعية للمعارضة ، قال تعالى: **{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}**(٢). قال الإمام الخطابى: "إن الله أشار في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والإجتهاد، وسبيله التأهب والإحتشاد، والمعنى في الصرفة التى وصفوها لا يلائم هذه الصفة فدل على أن المراد غيرها".(٣)

ومعنى ذلك أنه لا فائدة من الدعوة إلى الإجتماع والتناصر على أمر قد منع منه الإنسان بعد أن كان قادرًا عليه قبل، فإذا سلب القدرة ولم يستطع الإتيان بما كان يفعله لم يكن ذلك الأمر معجزًا، بل العجز أصاب الإنسان نفسه.

---

(١)عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم/المؤلف: محمد السيد جبريل/ ص ١٥/ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

(٢)الإسراء:

(٣)إعجاز القرآن للباقلاني، ص ١٣.

وقد أوضح الإمام الزركشى ذلك حيث قال: "وهو قول فاسد بدليل قوله تعالى: **{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}** فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزًا غيره وليس فيه صفة إعجاز؟ بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله ، وأيضًا يلزم من القول بالصرفة فساد آخر: وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة، فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى ولا معجزة له باقية سوى القرآن وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة".(١)

ومما يدل أيضا على فساد هذا الإفتراض: أن العرب الذين تحداهم القرآن كانوا مضرب المثل في الحمية والأنفة وإباء الضيم فكيف لا يحركهم هذا التحدي والإستفزاز؟.

ومنها أن صناعتهم البيان وديدنهم التنافس في ميادين الكلام فكيف لا يطيرون بعد هذه الصيحة إلى حلبة المساجلة؟.

ومنها أن القرآن أثار حفائظهم وسفه عقولهم وعقول آبائهم ونعى عليهم الجمود والجهالة والشرك فكيف يسكتون بعد هذا التقريع والتشنيع؟.

ومنها أن القرآن أقام حربًا شعواء على أعز شيء لديهم وهي عقائدهم

---

(١)البرهان فى علوم القرآن ج٢ ص ٩٣، ٩٤.

المتغلغلة فيهم، وعوائدهم المتمكنة منهم،فأي شيء يلهب المشاعر ويحرك الهمم إلى المساجلة أكثر من هذا ما دامت هذه المساجلة هي السبيل المتعين لإسكات خصمهم لو استطاعوا.(١)

بيان فساد الفرض الثاني : فينقضه الواقع التاريخي أيضًا،والدليل على هذا ما تواترت به الأنباء من أن بواعث العرب إلى المعارضة قد وجدت سبيلها إلى نفوسهم، ونالت منالها من عزائمهم، فهبوا هبة رجل واحد يحاولون القضاء على دعوة القرآن بمختلف الوسائل فلم يتركوا طريقًا إلا سلكوه، ولم يدعوا بابًا إلا دخلوه.

لقد آذوه ﷺ وآذوا أصحابه فسبوا من سبوا وعذبوا من عذبوا وقتلوا من قتلوا.

فهل يرضى عاقل لنفسه أن يقول بعد ذلك كله إن العرب كانوا مصروفين عن معارضة القرآن ونبي القرآن،وإنهم كانوا مخلدين إلى العجز والكسل زاهدين في النزول إلى هذا الميدان؟

وإذا كان أمر القرآن لم يحركهم ولم يسترع انتباههم فلماذا كانت جميع هذه المهاترات والمصاولات مع أن خصمهم الذي يزعمون خصومته قد قصر لهم المسافة ودلهم على أن سبيلهم إلى إسكاته هو أن يأتوا بمثل أقصر سورة مما جاءهم به، أليس ذلك دليلًا ماديًا على أن قعودهم عن معارضة القرآن ليست إلا بسبب شعورهم بعجزهم عن هذه المعارضة واقتناعهم بإعجاز

---

(١)مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢ ص ٤١٤.

القرآن.(١)

بيان فساد الفرض الثالث: أبطل الإمام عبد القاهرالجرجانى هذا الفرض قائلًا: "لو أن العرب كانت منعت منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها لعرفوا ذلك من أنفسهم، ولو عرفوا لكان يكون قد جاء عنهم ذكر ذلك، ولكانوا قد قالوا للنبي ﷺ: إنا كنا نستطيع قبل هذا الذي جئتنا به، ولكنك قد سحرتنا، واحتلت في شيء حال بيننا وبينه، فقد نسبوه إلى السحر في كثير من الأمور، كما لا يخفى، وكان أقل ما يجب في ذلك أن يتذاكروه فيما بينهم، ويشكوه البعض إلى البعض، ويقولوا: ما لنا قد نقصنا في قرائحنا، وقد حدث كلول في أذهاننا ففي أن لم يرووا، ولم يذكر أنه كان منهم قول في هذا المعنى لا ما قل ولا ما كثر دليل على أنه قول فاسد، ورأى ليس من آراء ذوى التحصيل".(٢)

وبذلك ظهر لنا جليا بطلان الإفتراضات الثلاث بالنقل والعقل، فثبت بطلان ما أدى إليها وهو القول بالصرفة.

ونستخلص مماسبق: ١ـ أن ما يعتبر من وجوه الإعجاز ويعول عليه هو الإعجاز البلاغى، وأنه لم يكن قط موضع جدل أو خلاف بين العلماء،

---

(١)ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢ ص ٤١٦، ٤١٧/ عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز فى القرآن ص ١٧.

(٢)دلائل الإعجاز/المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) م/ ج٣ ص ٦١٤، ٦١٥/ المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر/الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة/ الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

ومنتظم فى كل آيات القرآن بخلاف غيره من الأوجه المذكورة.

٢ ـ أن الإعجاز لايقع بكل وجه منفردًا بل يقع منضافًا إلى وجه الإعجاز البلاغى؛ وذلك لأن الإخبار بالغيب، والحقائق العلمية، وما فى القرآن من تشريعات وهدايات لا يستقيم فى كل سور القرآن.

٣ ـ أن وجوه الإعجاز لا تنحصر فيما ذكره العلماء،وأن إعجاز القرآن يتحقق بنواحى شتى تعز على الحصر والإستقراء، وما ذكر ما هو إلا غيض من فيض، وفى ذلك الشأن قال السكاكى: "واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة"(١).

وقال الرافعى:" أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن، وما حققناه بعد البحث، وانتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وإنضاج الروية، وما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه واطراد أسلوبه؛ أن القرآن معجز بالمعنى الذي يُفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، حين ينفى الإمكان بالعجز عن غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغًا وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة"(٢).

---

(١)مفتاح العلوم/ المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)/ ص ٤١٦/ ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور/ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م .

(٢)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٠٩بإيجاز.

المبحث الثانى

دراسة تطبيقية لوجوه الإعجاز في سورة نوح ـ عليه السلام ـ

تمهيد :

سورة نوح . عليه السلام . من القرآن المكى بإجماع المفسرين(١).

وسميت بهذا الإسم لذكره . عليه السلام . فى مفتتحها ومختتمها، ولإشتمالها من مطلعها حتى خاتمتها على قصته- عليه السلام- وعلى دعوته ومجادلته لقومه، وموقفهم منه منذ بداية الدعوة إلى وقت الطوفان(٢).

ونوح . عليه السلام . أول نبي أرسل، ويقال له شيخ المرسلين، وآدم الثاني، وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ، وهو إدريس بن برد بن مهلاييل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم . عليه الصلاة والسلام . (٣).

عدد آياتها: ثمان وعشرون فى عدّ الكوفة، وتسع فى عدّ البصرة والشام،

---

(١)ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٥ ص٣٧٢/ الإتقان في علوم القرآن ج١ ص٤٠.

(٢)ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، ج ٢٠ ص ٤٢٣، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة/ مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، ج٣ ص ١٢٣، ١٢٤، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض.

(٣)البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ج ١٠ ص ٢٨٠، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

وثلاثون عند الباقين، والمختلف فيها أَربع: سُوَاعًا، فَأُدْخِلُواْ نَارًا، **{وَنَسْرًا}**، **{وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا}**.(١)

مناسبة السورة لما قبلها:

هناك وجهان لاتصال هذه السورة بما قبلها:

١. تشابه مطلع السورتين في ذكر العذاب الذي وعد به الكفار: قوم محمد ﷺ في سورة المعارج، وقوم نوح . عليه السلام . في هذه السورة.

٢. ختم المولى عزوجل «سأل» بالإنذار للكفار،وأقسم على أن يبدل خيرًا منهم، وكانوا عباد أوثان، أتبعها بذكر أعظم عذاب كان في الدنيا في تكذيب الرسل بقصة نوح . عليه السلام .، وكان قومه عباد أوثان، وكانوا يستهزئون به وكانوا أشد تمردًا من قريش وأجلف وأقوى وأكثر، فلم ينفعهم شيء من ذلك عند نزول البلاء وبروك النقمة عليهم وإتيان العذاب إليهم، فأخذهم الله أخذ استئصال حتى أنه لم يبق لهم نسلًا على وجه الأرض،وفى ذلك تحذيرلقريش أن يصيبهم عذاب يستأصلهم إن لم يؤمنوا(٢). وبذلك يتبين لنا أن سورة المعارج ختمت بالإنذار وسورة نوح افتتحت به.

أهم ما اشتملت عليه السورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة من أولها إلى آخرها، تحكى لنا قصة نوح . عليه

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج١ ص ٤٨٢.

(٢)ينظر: أسرار ترتيب القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ص ١٤٧، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع/ البحر المحيط ج ١٠ ص ٢٨٠/ نظم الدرر ج ٢٠ ص ٤٨٢.

السلام . ، وما حدث بينه وبين قومه منذ أن دعاهم إلى ترك عبادة الأصنام إلى نزول العذاب عليهم وأخذهم بالطوفان، وتخلل ذلك بيان لأسلوب نوح . عليه السلام . في دعوته لقومه، واستعراض دلائل التوحيد، وبيان قدرة الله المطلقة التى لا يعجزها شيء، وختمت السورة ببيان كفر قومه وإصرارهم على عبادة الأصنام، وعقابهم في الدنيا والآخرة، ودعاء نوح . عليه السلام . للمؤمنين بالمغفرة، وعلى الكافرين بالهلاك والدمار، وذلك بعد جهاد طويل بلا كلل ولا ملل(١).

(١)ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ج٣ ص ١٢٤/ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لمؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج٢٩ ص ١٣٤، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

المطلب الأول

الإعجاز البلاغى في السورة الكريمة

تعددت وجوه الإعجاز في السورة الكريمة، فلا تكاد آية تخلوا من وجه من وجوه الإعجاز، ولكن أكثر الوجوه استقامة في السورة الإعجازالبلاغى ، وهذا يدل على أهمية هذا الوجه وأنه العمدة في إعجاز القرآن، وسوف أتتبع في هذا المطلب مواطن البلاغة في السورة الكريمة، مبينة أثر البلاغة فى المعنى مما يبرزنزول القرآن على أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، وأنه كلام الله تعالى، ومعجزة نبيه ﷺ الخالدة.

الموضع الأول: قوله تعالى: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**.نوح : ١ .

في هذه الآية الكريمة لونان من فنون البلاغة، اللون الأول: الإيجاز(١)، في قوله تعالى **{أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ}**، حيث حذف متعلق الفعل أنذر لدلالة ما يأتى بعده من قوله **{أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ}**، فأمره الله أن ينذرهم عذابا يأتيهم من الله إن لم يؤمنوا به، ليكون إنذاره مقدمًا على حلول العذاب. وهذا يقتضي أنه أمر بأن يعلمهم بهذا العذاب، وأن الله وقته بمدة بقائهم على الشرك بعد إبلاغ نوح إليهم ما أرسل به في مدة يقع الإبلاغ

---

(١)الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل العبارات. ينظر: (الإيضاح في علوم البلاغة/ المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)/ ج ٣ ص ١٧١/ المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي/ الناشر: دار الجيل – بيروت/ الطبعة: الثالثة).

في مثلها(١).

اللون الثانى: فصاحة اللفظة والدقة في اختيارها، وكونها في محلها اللائق بها،وهو ما يعرف ببلاغة القرآن في نظمه؛ ولذلك عدل عن أن يقال لنوح: أنذر الناس إلى قوله: (أنذرقومك) إلهابًا لنفس نوح . عليه السلام . ليكون شديد الحرص على ما فيه نجاتهم من العذاب، فإن فيهم أبناءه وقرابته وأحبته(٢).

أثر البلاغة في المعنى:

١- الإيجازبحذف المفردات وقع كثيرًا في القرآن الكريم، وقد أفاد الإيجاز في هذه الآية العناية بإظهار رحمة الله ورعايته للإنسان وعنايته بأن يهتدى، حيث ذكر لفظ الإنذاروحذف متعلقه؛وذلك لأن الغرض التنبيه على حدث الإنذاروإرسال الرسل لإقامة الحجة قال تعالى: **{رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}**(٣).

٢- أفاد التعبير بـ (قومك) التنبيه أن الإصلاح لابد أن يبدأ فيه بالأقربين من الأهل والعشيرة؛ لأنهم ألصق وأقرب بالمصلح من غيرهم، وباستجابتهم تتحقق القوة والمنعة، وينشرح صدر المصلح،كما أنه أدعى

---

(١)التحريروالتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ج٢٩ ص ١٨٧، ١٨٨، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

(٢)المرجع السابق نفس الجزء ص ١٨٨.

(٣)النساء: ١٦٥.

لإتباع الغير له؛ ولذلك كلف الله رسوله ﷺ أن يبدأ بإنذار قومه، قال تعالى **{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}**(١)، وفى ذلك دلالة واضحة على ضرورة الترابط والتماسك بين أفراد الأسرة، ممايكون له عظيم الأثر في وحدة المجتمع واستقراره.

الموضع الثانى : قوله تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ}.نوح : ٢.

في هذه الآية الكريمة لون بلاغى وهو تقديم ما حقه التأخير، ويعد هذا لونًا من ألوان إعجاز القرآن في نظمه، قال الإمام ابن عاشور:

" وتقديم (لكم) على عامله وهو (نذير) للإهتمام بتقديم ما دلت عليه اللام من كون النذارة لفائدتهم لا لفائدته"(٢).

أثر البلاغة في المعنى: أفاد تقديم (لكم) الدلالة على إخلاص الرسل . عليهم السلام . ، وبيان مدى حرصهم على هداية الناس، وبذلهم في ذلك الجهد،لا لمصلحة لهم ولا لأجر يتقاضونه مقابل ذلك، وقد جاء على لسان مؤمن آل ياسين **{يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ}**(٣).

الموضع الثالث: قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا}.نوح : ٥.

فى قوله **{لَيْلًا وَنَهَارًا}** طباق(٤) ، وهو من المحسنات البديعية.

---

(١)الشعراء: ٢١٤.

(٢)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ١٨٨.

(٣)يس: ٢٠، ٢١.

(٤)الطباق هو الجمع بين الشيء وضدّه فى جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو البيت =

أثر البلاغة فى المعنى: أفاد الطباق في الآية الدلالة أن نوح . عليه السلام . جعل دعوته مظروفة في زمني الليل والنهار بلا هوادة، وبيان لحرصه التام على إرشادهم، وأنه كان يترصد الوقت الذي يتوسم أنهم فيه أقرب إلى فهم دعوته منهم في غيره من أوقات النشاط وهي أوقات النهار، ومن أوقات الهدوء وراحة البال وهي أوقات الليل.(١) كما أنها رسمت الطريق الصحيح للدعوة القائم على الصبر وتلوين الأسلوب(٢).

فلا ملل ولا فتور ولايأس فى الدعوة إلى الإصلاح بل العمل الدؤوب فى كل زمان ومكان.

الموضع الرابع: قوله تعالى: {فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا}.نوح : ٦.

فى الآية الكريمة وجهان: الأول: مجاز عقلى(٣)، علاقته السببية، وقد

= من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحرّ والبرد. ينظر: (الصناعتين/ المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: ٣٩٥هـ)/ ص ٣٠٧/ المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم/ الناشر: المكتبة العصرية – بيروت/ عام النشر: ١٤١٩ هـ).

(١)التحرير والتنويرج٢٩ ص ١٩٤/ وينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ المؤلف: محمد سيد طنطاوي/ ج ١٥ ص ١١٤/ الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة/ الطبعة: الأولى/ ١٩٩٨.

(٢)أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير/ المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري/ ج٥ ص ٤٤٢/الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية/ الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٣)المجاز العقلي هو: إسنادُ الفعل، أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر، من حال المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من =

أشار إلى ذلك الإمام الزمخشرى فقال: "**{فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي}** جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار. والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارا، لأنه سبب الزيادة، ونحوه **{فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ}**"(١).

وفي الآية مبالغات بليغة حيث كان الأصل أن يقول فلم يجيبوني ونحوه، ولكن عبرعن ذلك بزيادة الفرار المسندة للدعاء للدلالة على إعراضهم(٢).

الوجه الثانى: تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو من المحسنات البديعية، وقد أشار إليه الإمام ابن عاشور فقال: "واستثناء الفرار من عموم الزيادات استثناء منقطع.

والتقدير: فلم يزدهم دعائي قربًا من الهدى لكن زادهم فرارًا كما في قوله تعالى حكاية عن صالح . عليه السلام . **{فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ}**(٣)، وهذا من الأسلوب المسمى في علم البديع تأكيد المدح بما يشبه الذم، أو

= أن يكون الإسناد إلى ما هو له.ينظر: (جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع/ المؤلف: أحمد بن إبراهيم ابن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)/ ص ٢٥٥/ ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي / الناشر: المكتبة العصرية، بيروت).

(١)الكشاف ج ٤ ص ٦١٦/ وينظر: البحر المحيط ج ١٠ ص ٢٨١/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)/ ج ٩ ص ٣٧/ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)/ ج١٥ ص ٨٠/ المحقق: علي عبد الباري عطية/ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

(٣)هود: ٦٣.

تأكيد الشيء بما يشبه ضده"(١).

أثر البلاغة فى المعنى:

جاء التعبير بقوله: **{فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا}** للدلالة على إعراضهم التام عن دعوته وتمسكهم بدينهم وتماديهم فى غيهم،وتأكيد ذلك بالتعبير بالمجاز العقلى و المحسن البديعى.

الموضع الخامس: قوله تعالى: {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ}نوح : ٧.

فى هذا الموضع مجاز عقلى علاقته المسببية، حيث ذكر المغفرة التي هي مسبب عن الإيمان،أى: وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان ليتوبوا فتغفر لهم، ثم حذف الإيمان وأسند للفعل المسبب عنه وهو المغفرة.

وقد أشار إلى ذلك الإمام البقاعى حيث قال: "ولما كان إعراضهم عما ينفعهم أقبح، ذكر ما يتسبب عن الإجابة بالإيمان فقال: **{لِتَغْفِرَ لَهُمْ}** أي ليؤمنوا فتمحوا ما فرطوا فيه في حقك فأفرطوا لأجله في التجاوز في الحدود محوًا بالغًا فلا يبقى لشيء من ذلك عينًا ولا أثرًا حتى لا تعاقبهم عليه ولا تعاتبهم"(٢).

أثر البلاغة فى المعنى :

١ . ذكر المولى . عزوجل . المسبب عن الدعوة وهو المغفرة ولم يذكر السبب فى المغفرة وهو الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن

---

(١)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ١٩٤.

(٢)نظم الدرر ج ٢٠ ص ٤٣١.

سعادتهم(١).

٢ ـ وجعلت الدعوة معللة بمغفرة الله لهم؛ لأنها دعوة إلى سبب المغفرة وهو الإيمان بالله وحده وطاعة أمره على لسان رسوله، وفي ذلك تعريض بحمقهم وتعجب من خلقهم إذ يعرضون عن الدعوة لما فيه نفعهم فكان مقتضى الرشاد أن يسمعوها ويتدبروها(٢).

٣ ـ وفيه أيضا التنويه بشأن الإيمان وإظهار فضله.

الموضع السادس : قوله تعالى: {جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ}نوح :٧.

فى هذا الموضع من الآية الكريمة مجاز مرسل(٣)، علاقته الجزئية، حيث عبر بالكل وهو الأصابع وأراد الجزء وهو الأنامل، لاستحالة دخول الإصبع كاملا فى الأذن(٤). وقد دل التعبير عن الجزء بالكل على مبالغتهم في التصامم كراهة له واحتقارًا للداعي، إشارة إلى أنا لا نريد أن نسمع ذلك منك، فإن أبيت إلا الدعاء فإنا لا نسمع لسد أسماعنا(٥).

---

(١)التسهيل لعلوم التنزيل/ المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)/ ج ٢ ص ٤١٤/ المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي/ الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت/ الطبعة: الأولى- ١٤١٦ هـ/ وينظر: البحر المحيط ٧ ج ١٠ ص ٢٨١.

(٢)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ١٩٦.

(٣)المجاز المرسل هو: أن تكون الكلمة موضوعة لحقيقة من الحقائق مع قيد فتستعملها لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة. ينظر: مفتاح العلوم ص ٣٦٤ .

(٤)ينظر: التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ١٩٥/ التفسير المنير ج ٢٩ ص ١٣٩/ التفسير الوسيط ج ١٥ ص ١١٥.

(٥)نظم الدرر ج٢٠ ص ٤٣١.

وقد حمل الإمام أبوحيان معنى الآية على الحقيقة والمجاز فقال:

" الظاهر أنه حقيقة، سدوا مسامعهم حتى لا يسمعوا ما دعاهم إليه، وتغطوا بثيابهم حتى لا ينظروا إليه كراهة وبغضًا من سماع النصح ورؤية الناصح، ويجوز أن يكون كناية(١) عن المبالغة في إعراضهم عن ما دعاهم إليه، فهم بمنزلة من سد سمعه ومنع بصره"(٢).

ومن الملاحظ أن الإمام أبو حيان رجح حمل المعنى على الحقيقة، و حمل المجازعلى الكناية بينما حملها عموم المفسرين على المجاز المرسل.

أثر البلاغة فى المعنى:

١ . أفاد المجاز فى الآية المبالغة فى الدلالة على كراهيتهم لسماع الحق، مع تصوير ذلك بتلك الصورة الحية المعبرة عن عنادهم بمحاولتهم إدخال أصابعهم كامله فى آذانهم مع أن الأذن لا تسع الأصبع كاملًا، وذلك حتى يضمنوا عدم وصول الصوت إليها.

٢ . دل التعبير أيضا على الحرص الشديد من سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ على مواجهة قومه مع إعراضهم عنه، ولو قال وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا، ما دل على الكراهية والإعراض بهذه الصورة

---

(١)الكناية: كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز. ينظر: (المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر/ المؤلف: ضياء الدين ابن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)/ ج ٣ ص ٥٢/ المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة/ الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة).

(٢)البحر المحيط ج ١٠ ص ٢٨١/ وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص ٤١٤.

الموجودة فى النظم القرآنى، ويعد ذلك من قبيل التصوير الفنى فى القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية([1]).

الموضع السابع : قوله تعالى {وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}نوح : ٧.

في قوله تعالى **{وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ}** كناية عن صفة الإعراض. هذا الموضع كسابقه يحتمل الحقيقة ويحتمل المجاز، قال الإمام القرطبى: "**{وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ}** أي غطوا بها وجوههم لئلا يروه، فاستغشاء الثياب زيادة في سد الآذان حتى لا يسمعوا، أو لتنكيرهم أنفسهم حتى يسكت، أو ليعرفوه إعراضهم عنه. وقيل: هو كناية عن العداوة. يقال: لبس لي فلان ثياب العداوة ".(٢)

أثر البلاغة فى المعنى: أفادت الكناية المبالغة فى الدلالة على إعراضهم، حيث إنهم بالغوا في التّغطّى بالثياب، حتى لكأنهم قد طلبوا منها

---

[1]) ينظر: التصور الفنى في القرآن ، ص ٣٦ .

(٢)الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٣٠٠/ وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص ٤١٤، إعراب القرآن وبيانه/ المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)/ ج ١٠ ص ٢٢٤/ الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية- حمص- سورية، (دار اليمامة- دمشق- بيروت)، (دار ابن كثير- دمشق- بيروت)/ الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.

أن تلفهم بداخلها حتى لا يتسنى لهم رؤيته إطلاقا(١). وهذا دليل على وجود الحجاب الكثيف والغطرسة النفسية عن سماع دعوة الحق، وتلك مبالغة تتفق مع أوضاعهم، فإنهم إذا جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم مع ذلك، صار المانع من السماع أقوى.(٢).

الموضع الثامن: قوله تعالى: {وَأَصَرُّوا}نوح : ٧ .

فى هذا الموضع من الآية الكريمة استعارة تبعية(٣)،حيث شبه المولى تماديهم فى غيهم وإقبالهم على المعاصى دون تفكير بالحمار الوحشى الذى ثارت شهوته فأكب يطردها، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الإصرار.

وقد أشار الإمام الزمخشرى إلى ذلك فقال: " الإصرار: من أصر الحمار على العانة إذا صرّ أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للإقبال على المعاصي والإكباب عليها"(٤).

والصر في الأصل: الربط وصر الأذنين رفعهما ونصبهما مستويتين كما تفعله الحيوانات إذا أسرعت، وجدت في عض بعضها في مخاصمته أو سوقه للأتان ونزوه عليها للجماع،وما ذكر من الإستعارة قيل في أصل اللغة،

---

(١)التفسير الوسيط ج١٥ ص ٤١٥.

(٢)التفسير المنير ج ٢٩ ص ١٤٥.

(٣)الإستعارة هى: أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به. ينظر: (مفتاح العلوم ص ٣٦٩).

(٤)الكشاف ح٤ ص ٦١٦/ وينظر: إرشاد العقل السليم ج ٩ ص ٣٧/ التفسير المنير ج ٢٩ ص ١٤٨.

وقد صارالإصرار حقيقة عرفية في الملازمة للإنهماك في الأمر(١).

أثر البلاغة في المعنى: أفادت الإستعارة المبالغة في ذمهم فلو لم يكن في ارتكاب المعاصي إلا التشبيه بالحمار لكفى به مجزرة، كيف والتشبيه في أسوأ أحواله وهو حال الكدم والسفاد(٢).

وفى ذلك تنفير من ملازمة المعاصى والمداومة عليها، وتسفيه لعقولهم والإشارة إلى جهلهم وحماقتهم؛ وذلك لتشبيههم بحيوان ضرب به المثل في الغباء. وقد صرحت هذه الآية في غير موضع بأنهم عصوا نوحًا . عليه الصلاة والسلام . وخالفوه مخالفة لا أقبح منها ظاهرًا بتعطيل الأسماع والأبصار، وباطنًا بالإصرار والاستكبار ولم يوافقوه بقول ولا فعل(٣).

الموضع التاسع: قوله تعالى: {وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}نوح : ٧ .

في هذا الموضع من الآية الكريمة فن من فنون البلاغة وهو الإطناب(٤)، وذلك بتكرارلفظ (استكبروا) حيث ذكر المصدر (استكبارًا)، وفيه أيضًا التنكير حيث جاء قوله (استكبارًا) نكرة منونة، والغرض من الإطناب التأكيد، والغرض من التنكير التفخيم والتعظيم(٥).

---

(١)حاشية الشهاب على البيضاوى الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي/ المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)/ ج ٨ ص ٢٤٩/ دار النشر: دار صادر – بيروت.

(٢)روح المعانى ج ١٥ ص ٨٠.

(٣)نظم الدرر ج ٢٠ ص ٤٣٢.

(٤)الإطناب: هوزيادة اللفظ على المعنى لفائدة.ينظر: (المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر ج ٢ ص ٢٨٠).

(٥)ينظر: حاشية الشهاب على البيضاوى ج٨ ص ٢٤٩/ الجامع لأحكام القرآن ج١٨ =

أثر البلاغة في المعنى: الاستكبار هو طلب الكبر من غير استحقاق له، وأكد ذلك بقوله: **{اسْتِكْبَارًا}** تنبيهًا على أن فعلهم منابذ للحكمة، فكان مما ينبغي أن لا يفعلوه فهو مما لا يكاد يصدق.(١)

وأفاد أيضًا المبالغة في تأكيد هذه الصفة المرزولة فيهم وتمكنها منهم، والمعنى أنهم جعلوا أنفسهم أكبر من أن يأتمروا لواحد منهم، وقد دل على ذلك قوله تعالى **{مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ}**.(٢)

وأفاد التنكير والتنوين التعظيم، والمعنى أنهم استكبروا عن اتباع سيدنا نوح وطاعته استكبارًا عظيمًا غير معهود، فهو استكبار شديد لا يفله حد الدعوة والنصح(٣).

وفى ذلك تنفير لنا من هذا الخلق وبيان لسوء عاقبته، وأنه لايأتى بخير؛ولذلك نهانا المولى . عزوجل . عنه وقال **{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}**(٤)، ونفرنا منه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وبين لنا أنه يفسد حال صاحبه، روى عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ

= ص ٣٠٠.

(١)نظم الدرر ج ٢٠ ص ٤٣٥.

(٢)هود: ٢٧.

(٣)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ١٩٦ بتصرف/ وينظر: روح المعانى ج ١٥ ص ٨٠.

(٤)لقمان: ١٨.

يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»(١).

الموضع العاشر: قوله تعالى: {ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا}نوح : ٨،٩.

في هاتين الآيتين إطناب، حيث وقع التكرار بين قوله جهارًا وقوله أعلنت، وقوله تعالى أسررت لهم إسرارًا.

وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن عطية حيث قال: " ثم كرر. عليه السلام. صفة دعائه لهم بيانًا وتأكيدًا، وجهارًا يريد علانية في المحافل، والإسرار ما كان من دعاء الأفراد بينه وبينهم على انفراد، وهذا غاية الجد".(٢)

وفى الآيتين أيضًا لون من ألوان البديع وهو التضاد بين الجهر والسر.

أثر البلاغة في المعنى: أفاد التكرار في هاتين الآيتين البيان والتأكيد، بيان أن دعوة نوح . عليه السلام . كما شملت كل الأوقات ـ الليل والنهار ـ شملت أيضًا كل الحالات، فقد دعاهم على وجوه مختلفة وأساليب متفاوتة، وفى ذلك تأكيد أن نوح . عليه السلام . دأب إلى الدعوة إلى الله بإخلاص ومداومة بلا يأس ولا فتورفى بيئة محبطة لا تتوفر فيها أدنى أسباب القبول، فلم يكف عن دعوتهم بعد فرارهم منه وإعراضهم الشديد بكل صوره وأشكاله السابق ذكرها.

قال الإمام البقاعى: "ولما ذكر دعاءه في جميع الأوقات مع إعراضهم، وكان هذا مؤيسًا وموجبًا للإقلاع عن الدعاء، وإن وجد الدعاء بعده فهو بعيد

---

(١)صحيح مسلم / باب تحريم الكبر/ رقم الحديث (١٤٧)/ ج ١ص ٩٣.

(٢)المحرر الوجيز ج ٥ ص٣٧٣/ وينظر: البحر المحيط ج١٠ ص ٢٨٢.

في غاية البعد منه على إيجاده مع الاستغراق به لجميع الحالات كما استغرق جميع الأوقات؛ ولذلك عبر بأداة التراخي للدلالة على تباعد الأحوال فقال: {ثُمَّ}"(١). وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أشد من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد، أو لتراخي بعضها عن بعض، فقد فعل عليه . الصلاة والسلام . كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد، فافتتح بالمناصحة في السر، فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان"(٢).

وقد أفاد التكرار في قوله {وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا}: الدلالة على مدى المشقة التى تحملها نوح . عليه السلام . ، فإن تحين الإنسان ليكون وحده ليس عنده أحد ولا هو مشتغل بصارف مما يعسر جدًا؛ لذلك أكده فقال: **{إِسْرَارًا}** وليدل بتأكيده على تأكيد ما قبله من أن نوح . عليه السلام . كان جادًا مجتهدا في دعوته إلى الله.(٣)

كما دل أيضًا على تعرضه لعموم أفراد مجتمعه، ويدل على ذلك ما ذكره الإمام ابن عاشور حيث قال: "ووجه توكيد الإسرار أن إسرار الدعوة كان في حال دعوته سادتهم وقادتهم لأنهم يمتعضون من إعلان دعوتهم بمسمع من أتباعهم".(٤)

---

(١)نظم الدرر ج ٢٠ ص ٤٥٣ .

(٢)ينظر: الكشاف ج٤ ص ٦١٦/ إرشاد العقل السليم ج٩ ص ٣٧.

(٣)نظم الدرر ج٢٠ ص ٤٣٦ بتصرف.

(٤)التحرير والتنوير ج٢٩ ص ١٩٧.

وقد أفاد التضاد بين الجهر والإسرار:

١ . أن الجمع بين الحالتين أقوى في الدعوة وأغلظ من إفراد إحداهما.

٢ ـ أنه- عليه السلام- توخى ما يظنه أوغل إلى قلوبهم من صفات الدعوة، فجهر حين يكون الجهر أجدى مثل مجامع العامة، وأسر للذين يظنهم متجنبين لوم قومهم عليهم في التصدي لسماع دعوته(١).

وفى ذلك إشارة وبيان لحكمة نوح عليه السلام؛ وذلك لمراعاته لحال الأشخاص فمن الناس من يصلح له أسلوب الجهر، بينما البعض الآخر يكون أسلوب الإسرار أجدر لإستمالته، حتى يكون بعيدًا عن تأثير الآخرين عليه.

الموضع الحادى عشر: قوله تعالى:(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) نوح : ١٠، ١١.

في قوله تعالى **{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا}** مجاز مرسل، علاقته المحلية، فقد أراد بالسماء المطر لأن المطر ينزل منها، قال الشاعر(٢):

---

(١)المرجع السابق نفس الجزء والصفحة/ وينظر: التفسير الوسيط ج ١٥ ص ١١٥.

(٢)البيت في معجم ديوان الأدب/ المؤلف: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (المتوفى ٣٥٠ هـ)، باب: ومن اللفيف، ج ٤ ص ٤٧/ تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر/ مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس/ طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة/ عام النشر: ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م/ والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)/ باب (سما)، ج ٦ ص ٢٣٨٢/ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار/ الناشر: دار العلم للملايين – بيروت/ الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

إذا نزل السماء بأرض قوم... رعيناه وإن كانوا غضابا (١)

قال الإمام القرطبى: قوله تعالى: **{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا}** أي يرسل ماء السماء، ففيه إضمار (٢).

أثر البلاغة في المعنى:

١ ـ جاء التعبير القرآنى بقوله تعالى **{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا}** ولم يأت بـ (يرسل ماء السماء) للمبالغة في كثرة وغزارة ماء المطر، حتى يتخيل السامع أن النازل لكثرته وغزارته كأنه السماء، وفى ذلك إطماع لهم بكثرة الخيرات إن هم آمنوا واتبعوا نوح . عليه السلام . .

قال الإمام الألوسى:" قال قتادة: كانوا أهل حب للدنيا فاستدعاهم إلى الآخرة من الطريق التي يحبونها، وقيل لما كذبوه . عليه الصلاة والسلام . بعد تكرير الدعوة حبس الله . تعالى . عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم أنهم إن آمنوا يرزقهم الله . تعالى . الخصب ويدفع عنهم ما هم فيه."(٣)

---

(١)إعراب القرآن وبيانه ج١٠ ص ٢٢٩/ وينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم/المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)/ ج ٢٩ ص ٣٠١/ الناشر: دار الرشيد، دمشق- مؤسسة الإيمان، بيروت/ الطبعة: الرابعة، ١٤١٤ هـ.

(٢)الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص٣٠١.

(٣)ينظر: المحرر الوجيز ج ٥ ص ٣٧٤/ معالم التنزيل في تفسير القرآن / المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)/ ج ٨ ص ٢٣٠/ المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش/ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع/ الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م/ روح المعانى ج ١٥ ص ٨١.

٢ ـ أفاد المجاز أيضًا أن الإشتغال بالطاعة، سبب لانفتاح أبواب الخير الكثير ،وأن الإيمان سبب لإعمار العالم، وفى ذلك حث وحض للناس جميعًا مسلمهم وكافرهم للدخول تحت راية الإيمان، قال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ}**(١)، **{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ}**(٢)، وكما أن الإيمان سبب لإعمار العالم فإن الكفر سبب لخرابه، قال تعالى في كفر النصارى وقولهم المسيح ابن الله: **{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا}**(٣)،(٤).

الموضع الثانى عشر:قوله تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}.نوح : ١٠ ـ ١٤ .

في قوله تعالى: (مِدْرارًا، أَنْهارًا، وَقارًا، أَطْوارًا) سجع مرصع مراعاة لرؤوس الآيات(٥)، والسجع من المحسنات البديعية اللفظية، وهو عبارة عن:

---

(١)الأعراف : ٩٦.

(٢)المائدة: ٦٦.

(٣)مريم: ٩٠، ٩١.

(٤)ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ج ٣٠ص ٦٥١ بتصرف ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤٢٠.

(٥)التفسير المنير ج٢٩ص ١٣٩. ذكر العلامة الزحيلى أن الآية فيها سجع مرصع، =

اتفاق الفواصل فى الكلام المنثور فى الحرف أو فى الوزن أو في مجموعه،واشتقاقه من قولهم: «سجعت الناقة» إذا مدت حنينها على جهة واحدة، ومنه سجع الحمامة إذا هدرت(١).

ولقد أطلق العلماء على ما وقع في القرآن من هذا اللون فواصل،ولم يسموه سجعًا رغبة منهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم؛ ولأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر(٢).

وفرقوا بين السجع والفواصل فقالوا: إن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها، وهذا القول يمثله على بن عيسى الرماني(٣) حيث اعتبر الفواصل بلاغة والسجع عيب، وعلل ذلك بأن السجع تتبعه المعاني والفواصل تتبع

= لكن المرصع في قوله أطوارا وأنهارا، أماجميع الكلمات ففيها سجع مطرف ؛ لأن السجع في الآيات روعى فيه الحرف الأخير في الكلمتين من غير مراعاة الوزن. ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب/ المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)/ ج٧ ص ١٠٥/ الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة/ الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(١)الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/ المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)/ ج ٣ ص١٣ الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(٢)البرهان في علوم القرآن ج١ ص ٥٤ بتصرف .

(٣)على بن عيسى الرمانى : باحث معتزلى ، مفسر من كبار النحاة ، مولده ووفاته ببغداد . ينظر: الأعلام للزركلى ج٤ ص ٣١٨.

المعاني(١).

وقد رد هذا القول أبو هلال العسكرى حيث قال:" وهذا غير صحيح والذي يجب أن يحرر في ذلك أن يقال: إن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول،والفواصل على ضربين ضرب يكون سجعًا وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعًا وهو ما تقابلت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين أى المتماثل والمتقارب من أن يأتي طوعًا سهلًا وتابعًا للمعاني، وبالضد من ذلك حتى يكون متكلفًا يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض.

فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه في الفصاحة، وقول الرماني: أن السجع عيب والفواصل بلاغة على الاطلاق فغلط؛ لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعًا للمعنى وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب والفواصل مثله. وكما يعرض التكلف في السجع عند طلب تماثل الحروف كذلك يعرض في الفواصل عند طلب تقارب الحروف"(٢).

وقد استدل أصحاب هذا القول بوقوع السجع في مواضع متعددة في القرآن الكريم، وأنه لو كان مذمومًا لما ورد فيه بل إنه قد أتى منه بالكثير،

---

(١)ينظر: إعجاز القرآن للباقلانى.

(٢)سر الفصاحة/ ص ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤ بإيجاز وتصرف .

حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة، كسورة الرحمن، وسورة القمر، وغيرهما، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور.

وقد ورد على هذا الأسلوب من كلام النبي -ﷺ- شيء كثير أيضًا.

فمن ذلك ما رواه ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ: "استحيوا من الله حق الحياء"، قلنا: إنا لنستحي من الله يا رسول الله! قال: "ليس ذلك! ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك الحياة الدنيا"(١).

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن سلام، فقال: لما قدم رسول الله-ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما تبيَّنت وجهه علمت أنه ليس بوجه كذاب، فكان أوَّل شيء تكلَّم به أن قال: "أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"(٢).

---

(١)الحديث في: سنن الترمذي/ المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)/ رقم الحديث (٢٤٥٨)، ج ٤ ص ٦٣٧ وقال الترمذى: هذا حديث غريب/ تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)/ الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر/ الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥ م/ ومسند الإمام أحمد بن حنبل/ المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)/ باب: مسند عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، رقم الحديث (٣٦٧١)، ج ٦ ص ١٨٧ وقال المحقق: اسناده ضعيف/ المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون/ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي/ الناشر: مؤسسة الرسالة/ الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.

(٢)الحديث أخرجه الترمذى في سننه/ باب: ما جاء في فضل إطعام الطعام، رقم الحيث: =

وقد استدل المانعون بأن النبي ﷺ قال لبعضهم منكرًا عليه وقد كلَّمه بكلام مسجوع: "أسجعًا كسجع الكهان"([1])؟ ولولا أنَّ السجع مكروه لما أنكره النبي ﷺ.

وأجاب المجوزون عن ذلك : لو كره النبي-ﷺ- السجع مطلقًا لقال: أسجعًا؟ ثم سكت، وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل، فلمَّا قال: "أسجعًا كسجع الكهان" صار المعنى معلقًا على أمر، وهو إنكار الفعل لما كان على هذا الوجه.

= (٢٤٨٥)، ج ٤ ص ٦٥٢، وقال الترمذى: هذا حديث صحيح/ وابن ماجه في سننه/ المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)/ باب: ما جاء في قيام الليل، رقم الحديث: (١٣٣٤)، ج ١ ص ٤٢٣، وقال المحقق: صححه الألبانى/ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ الناشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.

[1]) الحديث في مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، باب مسند جابر ، رقم الحديث (١٨٢٣) ، ج ٣ ص ٣٥٥ وقال المحقق إسناده ضعيف ، المحقق: حسين سليم أسد،الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م /مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)/ المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، باب: ما أسند عن المغيرة ابن شعبة، رقم الحديث: (٧٣١)، ج ٢ ص ٧٣، الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩ م/ والمصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، باب: نذر الجنين، رقم الحد يث: (١٨٣٤٦)، ج ١٠ ص ٥٩، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت/ الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.

كما أن النهي لم يكن عن السجع نفسه، وإنما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع، وذلك أنه لما أمر رسول الله-ﷺ- في الجنين بغُرَّة عبد أو أَمَةٍ، قال الرجل: "أَأَدِي من لا شَرِبَ ولا أكل، ولا نطق ولا استهلّ، ومثل ذلك يطل؟ فقال رسول الله ﷺ: "أسجعًا كسجع الكهان"(١)

أي: أتتبع سجعًا كسجع الكهان؟.فالسجع إذًا ليس بمنهي عنه، وإنما المنهي عنه هو الحكم المتبوع في قول الكاهن.(٢)

وقد وضع العلماء شروطًا لصحة السجع حيث رأوا أنه لا يحسن كل الحسن، ولا يصفو مشربه إلا باجتماعها، **الشريطة الأولى:ترجع إلى المفردات:**

وهى أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة المذاق رطبة طنانة، صافية على السماع حلوة طيبة رنانة، تشتاق إلى سماعها الأنفس، ويلذ سماعها على الآذان، مجنبة عن الغثاثة والرداءة، ويقصد بالغثاثة والرداءة أن الساجع يصرف نظره إلى مؤاخاة الأسجاع وتطابق الألفاظ، ويهمل رعاية حلاوة اللفظ وجودة التركيب وحسنه، فعند هذا تمسه الرداءة، وتفارقه الحلاوة.

الشريطة الثانية: راجعة إلى التركيب: وهى أن تكون الألفاظ المسجوعة فى تركّبها تابعة لمعناها، ولا يكون المعنى فيها تابعا للألفاظ فتكون ظاهره التمويه وباطنه التشويه، ويصير مثاله كمثال عمد من ذهب على نصب من خشب، أو كرة محلاة أو بعرة مذهبة مطلية.

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٦١.

(٢)ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج١ ص ٢١٠، ٢١١، ٢١٢ بإيجاز.

الشريطة الثالثة: أن تكون تلك المعانى الحاصلة عن التركيب مألوفة غير غريبة ولا مستنكرة ولا ركيكة مستبشعة؛لأنها إذا كانت غريبة نفرت عنها الطباع وكانت غير قابلة لها، وإذا كانت ركيكة مجتها الأسماع، فكل واحدة من السجعتين دال على معنى حسن بانفراده، لكن انضمام إحداهما إلى الأخرى هو الذى ينافر من أجل التركيب.

الشريطة الرابعة: أن تكون كل واحدة من السجعتين دالة على معنى مغاير للمعنى الذى دلت عليه الأخرى؛لأنه يكون من باب التكرير فيكون على هذا لا فائدة فيه، فهذه الشرائط الأربع لابد من اعتبارها فى كل كلام مسجوع(١).

وبذلك يتبين لنا:

١- أنه لا يعاب السجع على الإطلاق، وأنه إذا توافرت فيه الشروط يعد ضربًا من الحسن في الكلام، وأن ما ورد في القرآن على هذا النحو فهو مظهر من مظاهر الإعجاز، ويؤيد ذلك ما ذكره الإمام الزركشى حيث قال: "وإنما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلام العرب،وإنما لم يجئ على أسلوب واحد لأنه لا يحسن في الكلام جميعًا أن يكون مستمرًا على نمط واحد لما فيه من التكلف ولما في الطبع من الملل عليه؛ ولأن الإفتنان في ضروب الفصاحة أعلى من

---

(١)الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/ المؤلف: يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم، الحسينى العلوى الطالبى الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)/ ج٣ ص ١٣، ١٤ بإيجاز/ الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

الاستمرار على ضرب واحد فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل"(١).

٢ ـ أن الخلاف بين نفاة السجع ومجوزيه لا يعدو أن يكون خلافًا لفظيًا ما دام الاثنان متفقين على تنزيه القرآن عن التكلف والتوعر والتقليد، فلا ضَير أن يقال: إن في القرآن سجعًا لكنه فصيح غير متكلف، ولا سبيل إلى إنكار السجع ففي القرآن منه القدرالكثير، والإتفاق في التسمية لا يضير مادامت التفرقة بينه وبين غيره مقيسة بمعايير الجودة والحسن وخلوه من العيوب التي ألفوها في غيره(٢).

أثر البلاغة في المعنى: التأثير في أذهان السامعين، وخصوصًا المعاندين من مشركي قريش،وهذه هى طريقة الإستهواء الصوتى في اللغة؛ وذلك لأن اتحاد المقاطع في الحروف من مظاهر الجمال وحسن النغم، وانسجام الموسيقى، فإن أصوات الحروف إنما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة،وفى ذلك قوة التأثيرعلى السامعين، وهو ما أطلق عليه الرافعى إعجاز النظم الموسيقى في القرآن(٣).

---

(١)البرهان في علوم القرآن ج١ص٦٠.

(٢)خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)/ المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ) ج ١ ص ٢٢٤ بإيجاز/ الناشر: مكتبة وهبة/ الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢ م.

(٣)ينظر: تاريخ آداب العرب/ المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)/ ج٢ ص ١٤٢ بتصرف/ الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت/المعجزة الكبرى ص ٢٢٠.

الموضع الثالث عشر: قوله تعالى {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}.نوح : ١٥ ،١٦.

في هاتين الآيتين ثلاثة أوجه من الفنون البلاغية:الوجه الأول: التشبيه البليغ(١) في قوله **{وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}:** شبه المولى عزوجل الشمس في إضائتها وتوهجها بالسراج، فالشمس تزيل ظلمة الليل ويبصر أهل الدنيا في ضوئها وجه الأرض ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره(٢).

والقصد من هذا التشبيه تقريب المشبه من إدراك السامع، فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل، وقل من العرب من يتخذه وإنما كانوا يرونه في أديرة الرهبان أو قصور الملوك وأضرابهم(٣).

الوجه الثانى: يظهر بوضوح في هذا الموضع دقة التعبير القرآنى وحسن اختيار اللفظة القرآنية وأحقية مكانها بها حيث جاء المشبه به لفظ (السراج) ولم يقل وجعل الشمس نورًا أو ضياءًا وذلك لأربعة فوائد:

١. لكون السراج أعرف وأقرب جعل مشبهًا به،حيث شرط علماء البلاغة

---

(١)التشبيه البليغ : إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف. ينظر: (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن/ المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)/ ص ١٥٩/ تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف/ الناشر: الجمهورية العربية المتحدة– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– لجنة إحياء التراث الإسلامي).

(٢)ينظر: روح المعانى ج ١٥ص ٨٣/ التفسير الوسيط ج١٠ ص ١١٩.

(٣)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٢٠٣.

في المشبه به أن تكون الصفة فيه أعرف.

٢ ـ اعتبار التعدي إلى الغير في مفهومه بخلاف النور .

٣ ـ الإشارة إلى أن ضياء الشمس ليس منعكسًا إليها من كوكب آخر كما أن نور القمر منعكس عليه من الشمس لاختلاف تشكلاته بالقرب والبعد منها مع خسوفه بحيلولة الأرض بينه وبينها(١).

٤ ـ أن إيثار السراج هنا لمقاربة تعبير نوح ـ عليه السلام ـ في لغته.

٥ ـ رعاية الفاصلة، لأن الفواصل التي قبلها جاءت على حروف صحيحة ولو قيل: ضياء لصارت الفاصلة همزة والهمزة قريبة من حروف العلة فيثقل الوقف عليها(٢).

الوجه الثالث: اجتمع في قوله: (وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) استدلال وامتنان(٣)، حيث ذكر المولى ـ عزوجل ـ نعمه على عباده مستدلًا بها على قدرته ووحدانيته.

أثر البلاغة في المعنى:

١- أفاد التشبيه البليغ في هذه الآية الإيجاز مع الإيضاح والتبيين، فقد أرشدنا المولى إلى فوائد عديدة للشمس ولم يعبر عن ذلك بعبارات أو جمل طويلة، بل بلفظة واحدة (سراجا).

٢ ـ كما أن رعاية الفاصلة أضافت للفظ حسنًا عند السماع وخفة عند

---

(١)روح المعانى ج ١٥ ص ٨٣/ وينظر: التفسير الوسيط ج ١٠ ص ١١٩.

(٢)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٢٠٤.

(٣)المرجع السابق نفس الجزء ص ٢٠٥.

النطق، وفى ذلك حفاظ على جمال الإيقاع الصوتى للآيات للتأثير في نفس السامع وجذب انتباهه.

٣ ـ أقام نوح . عليه السلام . الدليل على وجود الله ووحدانيته حيث دعا قومه بالنظر والتفكر في العالم العلوى وما فيه من السماء والشمس والقمر، وهوما يسميه العلماء بدليل الآفاق، مستخدمًا أسلوب التشبيه البليغ؛ وذلك لأن للتشبيه البليغ تأثير في النفس فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أدعى إلى تعلق النفس به، وقد ورد في هذه الآية في موضع تعداد النعم حتى نتعرف على المنعم، وفى ذلك إشادة بالتفكر والتدبر في مخلوقات الله؛ لأنها تؤدى إلى معرفة الخالق، كما ينتج عن النظر في هذه الكواكب وفوائدها هداية الإنسان إلى العلوم الكونية، وهو ما يسمى بالعلم التجريبى.

الموضع الرابع عشر: قوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا}. نوح:١٧ .

في هذه الآية . مع وجازتها . خمسة أوجه من الفنون البلاغية:

الوجه الأول: الإستعارة التبعية التصريحية في قوله **{وَاللَّهُ أَنبَتَكُم}**، حيث شبه إنشاء الإنسان بإنبات النبات بجامع المشابهة بين إنشاء الإنسان وإنبات النبات من حيث إن كليهما تكوين من أصل واحد، ثم استعار الإنبات للإنشاء، قال تعالى **{وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ}**(١) أى أنشأ آدم من الأرض وصارت ذريته منه، فصح نسبتهم كلهم إلى أنهم أنبتوا منها، كما أن كلا

---

(١)فاطر : ١١.

منهما يمر بمراحل متشابهة في النمو(١).

الوجه الثانى: في هذا الموضع محسن بديعى وهو الإدماج(٢)، ففي الآيات السابقة استدل نوح عليه السلام على وجود الله وقدرته بدليل الأفاق، وهو خلق السماوات وما فيهن، فناسب ذلك ذكر الأرض فاستدل بأعجب ما يرونه من أحوال ما على الأرض وهو حال الموت والإقبار، ومهد لذلك ما يتقدمه من إنشاء الناس، وأدمج في ذلك تعليمهم بأن الإنسان مخلوق من عناصر الأرض مثل النبات وإعلامهم بأن بعد الموت حياة أخرى(٣).

الوجه الثالث: في قوله تعالى **{نَبَاتًا}** إيجاز الحذف، وأصله أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ إنباتًا فنبتم نباتًا،وهو من الإحتباك(٤)، حيث ذكر «أنبت» أولًا دال على حذف مصدره ثانيًا، وذكر «النبات» ثانيًا دال على حذف فعله أولًا،

---

(١)ينظر: المحررالوجيز ج٥ ص ٣٧٥/ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، ج٥ ص ٢٤٩، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٨ هـ/البحر المحيط ج١٠ ص ٢٨٤/ إعراب القرآن وبيانه ج١٠ ص ٢٢٩.

(٢)الإدماج: عبارة عن إدخال نوع من البديع فى نوع آخر، فيظهر أحدهما ويدمج الآخر. ينظر:(الطراز لأسرار البلاغة ج ٣ص ٨٨).

(٣)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٢٠٤.

(٤)الإحتباك: هو أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابلة في الأواخر، ويُحْذَفَ من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابلة في الأوائل.ينظر: (البلاغة العربية/ المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)/ ج٢ ص ٥٤/ الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت/ الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٦ م.

ليكون التقدير: أنبتكم إنباتًا فنبتم نباتًا(١).

ويرى الإمام البيضاوى أن الحذف سببه الإكتفاء بالدلالة الالتزامية(٢). والدلالة الالتزامية هي دلالة نباتًا على إنباتا ونبتم للزوم الإنبات(٣).

الوجه الرابع: التكرار في قوله **{نَبَاتًا}** ونباتًا مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر(٤).

قال الإمام البقاعى: "ولما كان إنكارهم للبعث كأنه إنكار للابتداء أكده بالمصدر وأجراه على غير فعله بتجريده من الزيادة، إشارة إلى هوانه عليه سبحانه وتعالى وسهولته مع أنه إبداع وابتداء واختراع "(٥).

الوجه الخامس: مراعاة الفواصل: يرى الإمام ابن عاشور أن قوله تعالى **{نَبَاتًا}** لم يجر على قياس فعله فيقال: إنباتا؛ لأن نباتًا أخف فلما تسنى الإتيان به لأنه مستعمل فصيح لم يعدل عنه إلى الثقيل كمالًا في الفصاحة، بخلاف قوله بعده إخراجًا فإنه لم يعدل عنه إلى: خروجًا، لعدم ملاءمته لألفاظ الفواصل قبله المبنية على ألف مثل ألف التأسيس فكما تعد مخالفتها في القافية عيبًا كذلك تعد المحافظة عليها في الأسجاع والفواصل كمالًا(٦).

---

(١)نظم الدررج٢٠ ص ٤٤٤/ وينظر: إرشاد العقل السليم ج٩ ص ٣٩/ روح المعانى ج ١٥ ص٨٤.

(٢)أنوارالتنزيل ج٥ ص ٢٤٩.

(٣)حاشية الشهاب الخفاجى ج٨ ص ٢٥١.

(٤)إرشاد العقل السليم ج ٩ ص ٣٩.

(٥)نظم الدرر ج٢٠ ص ٤٤٤.

(٦)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٢٠٤، ٢٠٥.

أثر البلاغة في المعنى: ١ـ دلت الإستعارة في هذه الآية أن أصل خلق الإنسان وتكوين عناصره من الأرض، فالله سبحانه خلق الإنسان في الأصل من التراب، ثم جعل سبب بقاء نوع الإنسان بالتزاوج والتوالد، كما أنها دليلا على حدوث الإنسان ، لأنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات(١).

٢ . أفاد مجيء المصدر نباتًا على غير فعله التنبيه على تحتم قدرة الله . عزوجل .، وسرعة نفاذ حكمها(٢).

الموضع الخامس عشر: قوله تعالى: {ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا}. نوح : ١٨.

في هذه الآية الكريمة لونان من ألوان البلاغة، اللون الأول: بلاغة النظم القرآنى، وذلك بوجود التناسق بين الكلمة القرآنية والمعنى الذى يراد تقريره، بحيث لا يفى بالمعنى سواها، ولا يقوم به إلا هى، فالآية التى نحن بصددها عطفت على ما قبلها ـ **{وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا}** ـ بحرف العطف (ثم) لما بين الإنشاء والإعادة من الزمان المتراخي الواقع فيه التكليف الذي به استحقوا الجزاء بعد الإعادة، وعطف (يُخْرِجُكُمْ) بالواو دون ثم مع أن الإخراج كذلك؛ لأن أحوال البرزخ والآخرة في حكم شيء واحد فكأنه قضية واحدة ولا يجوز أن يكون بعضها محقق الوقوع دون بعض، بل لا بد أن تقع الجملة لا

---

(١)ينظر: الكشاف ج ٤ ص ٦١٨/ أنوار التنزيل ج ٥ ص ٢٤٩/ فتح القدير ج ٥ ص ٣٥٨.

(٢)حاشية الشهاب على البضاوى ج ٨ ص ص ٢٥١/ روح المعانى ج١٥ ص ٨٤.

محالة وإن تأخرت عن الإبداء(١).

اللون البلاغى الثانى: التكرار في قوله **{وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا}**، حيث أكد الفعل المضارع **{يُخْرِجَكُم}** وهو البعث بعد الموت بالمصدر **{إِخْرَاجًا}** للدلالة على أن الإعادة محققة كالإبداء، وأنها تكون لا محالة(٢)، وذلك لإنكارهم وقوعه، فجاء التعبير بالمصدر للتأكيد وللإشارة إلى أنهم يكونون بهذا البعث في غاية ما يكون من الحياة فتلابس أرواحهم أجسامهم ملابسة لا إنفكاك بعدهما لأحدهما عن الآخر(٣).

الموضع السادس عشر: قوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا}. نوح : ١٩.

في هذه الآية الكريمة لونان من الفنون البلاغية، اللون الأول: الإستدلال والإمتنان، ولذلك علق بفعل جعل مجرور بلام التعليل وهو لكم أي لأجلكم(٤).

فقد استدل نوح . عليه السلام . على وجود الله عزوجل بالنظر والتدبر في صفحة الكون؛ ليتعرفوا على نعم الله التى لا تحصى وقدرته التى لا يعجزها شيء، ومنها أنه جعل الأرض ممهدة كالبساط، وثبّتها بالجبال، فعل ذلك كى تكون صالحة للعيش عليها، والتنقل بين أرجائها.

اللون الثانى: التقديم والتأخير، حيث توسط لكم بين الجعل ومفعوليه مع

---

(١)روح المعانى ج ١٥ ص ٨٤/ وينظر: التحرير والتنويرج ٢٩ ص ٢٠٥.

(٢)الكشاف ج ٤ ص ٦١٨/ وينظر: أنوار التنزيل ج ٢٤٩ .

(٣)نظم الدرر ج ٢٠ ص ٤٤٥بتصرف.

(٤)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٢٠٩.

أن حقه التأخير، لما فيه من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق إلى المؤخر، فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحًا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن(١).

الموضع السابع عشر: قوله تعالى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}.نوح : ٢٣.

في هذه الآية الكريمة إطناب في موضعين، تحقق بوجهين من وجوه الإطناب، الوجه الأول: ذكر الخاص بعد العام لمزيد الإهتمام به؛ وذلك لأن الله ذكرتوصيتهم بأصنامهم على العموم في قوله: **{آلِهَتَكُمْ}**، ثم نص على المشهور من الأصنام وهو (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا) مع اندراجها تحت لفظ (آلهتكم)؛ وذلك لأنها كانت أكبرها وأعظمها عندهم(٢).

ويحتمل أن لا يكون لهم غير تلك الأصنام الخمسة فيكون ذكرها مفصلة بعد الإجمال للإهتمام بها ويكون العطف من قبيل عطف المرادف(٣).

وهذه الأصنام روي أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صورهم أهل ذلك العصر من الحجر، وقالوا: ننظر إليها فنذكر أفعالهم فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيم الآخر لتلك الحجارة، حتى عبدت ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها إلى قبائل العرب، وقيل بل الأسماء فقط،

---

(١)إرشاد العقل السليم ج ٩ ص ٣٩.

(٢)ينظر: الكشاف ج٤ ص٦١٧/ البحر المحيط ج ١٠ ص ٢٨٥/ إرشاد العقل السليم ج٩ ص ٤٠/ روح المعانى ج ١٥ ص ٨٥ .

(٣)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٢١٠/ وينظر: الدر المصون ج ١٠ ص ٤٧٤.

فكانت «ودّ» في كلب بدومة الجندل، وكانت «سواع» في هذيل، وكانت يَغُوث في مراد، وكانت يَعُوق في همذان، وكانت «نسر» في ذي الكلاع من حمير (١).

وقد استبعد الإمام ابن عاشور أن تكون هذه الأصنام نقلت بأعيانها إلى العرب حيث قال: "إن أصنام قوم نوح قد دثرت وغمرها الطوفان وأن أسماءها بقيت محفوظة عند الذين نجوا مع نوح من المؤمنين فكانوا يذكرونها ويعظون ناشئتهم بما حل بأسلافهم من جراء عبادة تلك الأصنام، فبقيت تلك الأسماء يتحدث بها العرب الأقدمون في أثارات علمهم وأخبارهم، فجاء عمرو بن لحى الخزاعي الذي أعاد للعرب عبادة الأصنام فسمى لهم الأصنام بتلك الأسماء وغيرها، فلا حاجة بالمفسر إلى التطوح إلى صفات الأصنام التي كانت لها هذه الأسماء عند العرب ولا إلى ذكر تعيين القبائل التي عبدت مسميات هذه الأسماء"(٢).

الوجه الثانى: التكرار، وقع التكرار في الآية الكريمة للفعل (تذرن) مرتين، بينما تكررت لا أربع مرات؛ وذلك للتأكيد على التمسك بهذه الآلهة المزعومة. قال الإمام البقاعى:" وأعادوا النافي تأكيدًا فقالوا: **{وَلَا سُوَاعًا}** وأكدوا هذا التأكيد وأبلغوا فيه فقالوا: **{وَلَا يَغُوثَ}** ولما بلغ التأكيد نهاية وعلم أن المقصود النهي عن كل فرد فرد لا عن المجموع بقيد الجمع أعروا فقالوا: **{وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}** معرى عن التأكيد للعلم بإرادته"(٣).

---

(١)المحرر الوجيز ج ٥ ص ٣٧٦.

(٢)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٢٠٩.

(٣)نظم الدرج ٢٠ ص ٤٤٩.

وقيل أفرد يعوق ونسر عن النفي لكثرة تكرار لا وعدم اللبس(١). وقيل: لأن الإستعمال جار على أن لا يزاد في التأكيد على ثلاث مرات(٢).

أثر البلاغة في المعنى: أفاد الإطناب في الآية الكريمة بيان مدى إصرار قوم نوح . عليه السلام . على عقيدتهم الباطلة، وذلك بتحريض الناس على الإستمساك بها و إضافتها إلى أنفسهم، وعدم الإكتفاء بذكرها على العموم، بل أكدوا بذكر أسماء بعضها ليكون أدعى للإهتمام، ثم أكدوا بتكرار فعل النهى وتكرار الأداة للتأكيد على عدم الإنفكاك عنها أبدًا، ولإثارة الحمية والنخوة في قلوب العوام من قومهم الذين قد يتأثرون بدعوة نوح . عليه السلام . .

الموضع الثامن عشر: قوله تعالى: {وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا} في هذه الآية الكريمة لون من ألوان البلاغة وهو الإظهار في موضع الإضمار في قوله **{وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا}** فكان مقتضى الظاهر التعبير عنهم بالضمير عائدًا على قومي من قوله: **{دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا}** [نوح: ٥] فعدل عن الإضمار إلى الإظهار على خلاف مقتضى الظاهر لما يؤذن به وصف الظالمين من استحقاقهم الحرمان من عناية الله بهم لظلمهم، أي إشراكهم بالله(٣).

أثر البلاغة في المعنى: أفاد الإظهار بوصف الظالمين ذم قوم نوح . عليه السلام . ، والتنويه بأنهم لا خير فيهم، ولا يستحقون الهداية بسبب سوء

---

(١)روح المعانى ج ١٥ ص ٨٦.

(٢)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٢١٠.

(٣)المرجع السابق نفس الجزء ص ٢١٠، ٢١٢/ وينظر: نظم الدرر ج٢٠ ص ٤٥١.

صنيعهم .

الموضع التاسع عشر: قوله تعالى: {مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا}.نوح : ٢٥.

في هذه الآية الكريمة ثلاثة ألوان من فنون البلاغة، اللون الأول: التنكير في قوله تعالى (نارًا) فقد جاءت اللفظة القرآنية نكرة منونة وذلك للتعظيم والتهويل، أو لأن الله أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعًا من النار(١).

أثر البلاغة في المعنى: جاء التعبير بلفظ النار منكرًا للدلالة على أنها نار لا يكتنه كنهها ولا يعرف مدى عذابها فتذهب النفس فيه كل مذهب، ولا شك أن في ذلك تخويف منها وتهويل لعذابها.

اللون الثانى: محسن الطباق بين (أغرقوا) و(أدخلوانارا)، نوه الإمام الألوسى عن هذا اللون البلاغى قائلًا: "ولا يخفى ما في **{أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا}** من الحسن الذي لا يجارى ولله تعالى در التنزيل"(٢).

وصرح به الإمام ابن عاشورقائلا :" وفي قوله: (أغرقوا فأدخلوا نارًا) محسن الطباق لأن بين النار والغرق المشعر بالماء تضادًا"(٣).

أثر البلاغة في المعنى: في هذه الآية الكريمة يعرض المولى . عزوجل . ما صار إليه الظالمون الخاطئون في الدنيا والآخرة جميعًا، فكان عذابهم فى

---

(١)ينظر: الكشاف ج٤ ص ٦٢١بتصرف/ البحر المحيط ج ١٠ ص ٢٨٨/ روح المعانى ج١٥ ص ٨٨.

(٢) روح المعانى ج١٥ ص ٨٨.

(٣)التحرير والتنوير ج٢٩ ص ٢١٢.

الدنيا بالغرق وفى الآخرة بالحرق، وجمع بينهما لبيان أن أمر الآخرة كأمر الدنيا حاضر بالقياس إلى علم الله، وبالقياس إلى الوقوع الثابت الذي لا تغيير فيه، ولبيان أن إدخالهم النار موصول بإغراقهم ،وأن الفاصل الزمني بينهما قصير، فكأنه غير موجود؛ ولذا جاء التعقيب بالفاء التى تدل على سرعة وقوع الحدث.

وبذلك يتبين لنا أن الجمع بين المتضادين في الآية بين جمال المعنى ووضوحه في نفوس السامعين، فكأن حادثة الغرق والإحراق لم تستغرق وقتًا ولاجهدًا، وفى ذلك بيان لقدرة الله على إهلاك الظالمين وزجروردع لمن على شاكلتهم .

اللون الثالث: التعريض(١) بالأصنام في قوله {فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا} وذلك فيه تهكم بهم لأنهم إنما واظبوا على عبادة تلك الأصنام لتكون دافعة للآفات عنهم جالبة للمنافع إليهم، فلما جاءهم عذاب الله لم ينتفعوا بتلك الأصنام، وما قدرت تلك الأصنام على دفع عذاب الله عنهم، وهو كقوله: **{أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا}**(٢)، وهذه الآية حجة على كل من عول على شيء غير الله. تعالى . (٣).

---

(١)التعريض: اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقى والمجازى. ينظر: المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر ج٣ ص ٥٦.

(٢)الأنبياء: ٤٣.

(٣)مفاتيح الغيب، ج ٣٠ص ٦٥٩ بتصرف يسير / ينظر: الكشاف ج٤ ص٦٢١/ أنوار التنزيل ج٥ ص ٢٥٠/ البحر المحيط ج١٠ص ٨٨/ إرشاد العقل السليم ج٩ ص ٤١/ روح المعانى ج ١٥ ص ٨٨.

أثر البلاغة في المعنى: أفاد التعريض في الآية تحذير العرب المكذبين للنبى صلى الله عليه وسلم ، المتمسكين بعبادة الأوثان أن يكون مصيرهم كمصير قوم نوح . عليه السلام .، فكما لم تنفع الأصنام قوم نوح ولم تدفع عنهم العذاب، فكذلك لا تنفعكم أصنامكم ولا تغنى عنكم من الله شيئا، وفى ذلك إشارة إلى عجز كل ما عبد من دون الله، وبيان لقدرة الله وأنه لا يعجزه شىء، قال تعالى مخاطبًا عبدة الأصنام **{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}**(١).

الموضع العشرون: قوله تعالى {إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} . نوح : ٢٧.

في قوله تعالى **{وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا}** لون بلاغى وهو المجاز المرسل، وعلاقة هذا المجاز اعتبار ما يؤول إليه، فإنهم لم يفجروا وقت الولادة، بل بعدها بزمن طويل على كل حال، أي لا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر، فوصفهم بما يصيرون إليه(٢).

فإن قيل: كيف عرف نوح . عليه السلام . ذلك؟ وكيف صح الحكم على أطفالهم بالكفر؟ الجواب على ذلك من وجهين: الأول النص، فإن المولى . عزوجل . أخبره بعدم إيمانهم في قوله تعالى: **{أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ}**(٣). والثانى: الاستقراء، وذلك لأنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين

---

(١)الحج:٧٣.

(٢)إعراب القرآن وبيانه ج ١٠ ص ٢٣٤/ وينظر: الجدول ج ٢٩ ص ١٠٨.

(٣)هود: ٣٥.

عامًا فعرف طباعهم وجربهم، وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه ويقول: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي أوصاني بمثل هذه الوصية، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك(١).

فوصفهم نوح . عليه السلام . بما يصيرون إليه، وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكرًا ولا يليق بشأن الأنبياء؛ وإنما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن أعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ أحوالهم قريبًا من ألف سنة(٢).

أثر البلاغة في المعنى: أفاد الوجه البلاغى في الآية الكريمة:

١ ـ في كلام نوح . عليه السلام . دلالة على أن المصلحين يهتمون بإصلاح جيلهم الحاضر ولا يهملون تأسيس أسس إصلاح الأجيال الآتية إذ الأجيال كلها سواء في نظرهم الإصلاحي. وقد انتزع عمر بن الخطاب من قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ}**(٣) دليلًا على إبقاء أرض سواد العراق غير مقسومة بين الجيش الذي فتح العراق وجعلها خراجًا لأهلها قصدًا لدوام الرزق منها لمن سيجيء من المسلمين(٤).

٢ . نفى الخيرية عن قوم نوح البتة، ففى بعض الأحيان يكون في الأخلاف صالحين، أما هؤلاء فلا خير فيهم ولا في أعقابهم، فقد جمعوا بين سوء الفعل وسوء الإعتقاد.

---

(١)ينظر: الكشاف ج٤ ص ٦٢١/ مفاتيح الغيب ج ٣٠ ص ٦٥٩.

(٢)ينظر: إرشاد العقل السليم ج٩ ص ٤١/ روح المعانى ج ١٥ ص ٨٩.

(٣)الحشر: ١٠.

(٤)التحرير والتنوير ج٢٩ ص ٢١٤.

٣ . أرشدنا نوح . عليه السلام . إلى أهمية دور الأسرة في التربية والتوجيه ومدى تأثيرها على سلوك الناشئة الصغار، وأن الأسرة هى الحاضنة التى تشكل العقيدة والسلوك في أفرادها، فهى اللبنة التى بصلاحها ينصلح حال المجتمع وبفسادها يفسد.

الموضع الحادى والعشرون : قوله تعالى: {رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا}نوح : ٢٨ . في هذه الآية الكريمة أربعة ألوان من فنون البلاغة، اللون الأول: الإطناب في موضعين: الموضع الأول: في قوله . تعالى . **{رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}** وذلك بذكر العام بعد الخاص، ففى مطلع الآية حيث دعا نوح . عليه السلام . لنفسه ووالديه من أهل بيته ولأهل دينه، ثم عم المؤمنين والمؤمنات، قال الزمخشرى:" خص أوّلا من يتصل به؛ لأنهم أولى وأحق بدعائه، ثم عم المؤمنين والمؤمنات"(١). وقال ابن عطية: "وقوله: **{لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}** تعميم بالدعاء لمؤمني كل أمة"(٢). وقال الكلبيُّ: من أمة محمدٍ ﷺ ، وقيل: من قومه، والأول أظهر(٣).

---

(١)الكشاف ج ٤ ص ٦٢١.

(٢)المحررالوجيز ج٥ ص ٣٧٧/ وينظر: البحر المحيط ج ١٠ ص٢٨٩/ إرشاد العقل السليم ج٩ ص ٤٢.

(٣)اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، ج ١٩ ص ٤٠٣، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ–١٩٩٨م.

أثر البلاغة في المعنى: دعا نوح . عليه السلام . ربه واستغفره بعد هذا الجهد المضنى خشية التقصير في جنب الله . عزوجل . ، وهذا هو دأب الأنبياء والصالحين، ثم ظهر بره بأبويه المؤمنين، ولو لم يكونا مؤمنين لروجع فيهما كما روجع في شأن ولده الكافر الذي أغرق مع المغرقين كما جاء في سورة هود.وهذا يدل على مكانة الوالدين ووجوب برهما في كل الشرائع.

ثم بعد ذلك دعاؤه الخاص لمن دخل بيته مؤمنًا، وهذا بر المؤمن بالمؤمن وحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، ثم دعاؤه العام بعد ذلك للمؤمنين والمؤمنات، وهو بر المؤمن بالمؤمنين كافة في كل زمان ومكان، وشعوره بآصرة القربى على مدار الزمن واختلاف السكن، وقد أكد القرآن الكريم على هذه الرابطة في قوله . تعالى . **{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}** .(١)

الموضع الثانى: قوله تعالى: {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} .

في هذا الموضع من الآية إطناب، وقد تحقق بوجهين من وجوه الإطناب في الموضع نفسه، الأول التكرار وذلك لأن الجملة مفادها الدعاء على الكفرة بأن يحرمهم الله النجاح وهو على حد قوله تعالى المتقدم **{وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا}**.

الوجه الثانى: ذكر الخاص بعد العام، وذلك لأن تخصيص الظالمين بالدعاء عليهم بالهلاك والخسار داخل في عموم قوله **{لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ**

---

(١)الحشر: ١٠.

مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}(١).

أثر البلاغة في المعنى: لم يكن الإطناب هنا من قبيل الزيادة ولا الحشو والتطويل ولكنه أفاد حرص نوح . عليه السلام . على سلامة المجتمع الإنسانى، وتطهيره من الفاسدين ، وذلك بالإلحاح في الدعاء بهلاكهم.

اللون البلاغى الثانى في الآية: الإستعارة في قوله تعالى **{وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ}** ذكر المفسرون في قوله تعالى (بيتى) أقولا عدة منها: منزله، وقيل: سفينته، وقال الجمهور وابن عباس: أراد مسجده، وفي رواية عن ابن عباس أنه أراد شريعته استعار لها اسم البيت كما قالوا قبة الإسلام وفسطاط الدين(٢). وبذلك يتبين لنا أن القول بالإستعارة في الآية على تفسير (بيتى) بشريعتى، والمعنى: أنه شبه الشريعة بالبيت بجامع الأمن والإستقرار في كل، فالشريعة حصن يحمى صاحبه ويقيه المفاسد وكذلك البيت يحمى صاحبه ويقيه المضار، ثم حذف المشبه وذكر المشبه به على سبيل الإستعارة التصريحية.

أثر البلاغة في المعنى: ظهر في هذا اللون البلاغى دقة التعبير باللفظة القرآنية، حيث أراد نوح . عليه السلام . أن يشير إلى فضل إتباع الرسل واختيار طريق الإيمان والتمسك به وأنه سبيل النجاة من المهالك، ودعا لأتباع دينه ولم يقل رب اغفر لى ولوالدى وأتباعى، بل عبر عن ذلك بلفظ من دخل بيتى، وذلك للدلالة على حسن الإتباع، فإن المحب يزور حبيبه

(١)التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٢١٥.

(٢)ينظر: المحرر الوجيز ج ٥ ص ٣٧٧/ البحر المحيط ج ١٠ ص ٢٨٩/ روح المعانى ج ١٥ ص ٨٩.

ويمكث معه، أيضًا أشار إلى نجاة أتباعه وشعورهم بالأمن عند الفزع ونزول العذاب، كما يشعر الإنسان بالراحة والأمن داخل البيت، وبذلك أظهر لنا ثمرة من ثمرات الإيمان، قال تعالى **{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}**(١).

اللون البلاغى الثالث في الآية: الإيجاز في الدعاء، وتحقق الإيجاز بالإحتباك في الدعاء، حيث أثبت الدعاء المقتضي لأصل إكرام المؤمنين أولًا مرشدًا إلى حذف الدعاء المفهم لأصل إهانة الكافرين ثانيًا، وإثبات الدعاء بزيادة التبار ثانيًا مفهم لحذف الدعاء الموجب لزيادة المفاز أولًا(٢).

اللون البلاغى الرابع: حسن ترتيب النظم ومناسبة مطلع السورة لخاتمتها،وهو ما يعرف عند علماء البلاغة بـ (رد العجز على الصدر)، فقد بدأت السورة بإنذار نوح قومه من عذاب أليم، وفى خاتمة السورة أفصح عن ذلك العذاب.

قال الإمام البقاعى: "أفصح بالتبار هو ما أرشد إليه الإبتداء بالإنذار، وبذلك انطبق الآخر على الأول على أصرح وجه "(٣).

أثر البلاغة في المعنى: لا يخفى أن وجود المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها دلالة واضحة على الوحدة الموضوعية بين آيات القرآن وسوره، ويعد هذا اللون من أبرز وجوه إعجاز القرآن، ومن خصائصه البيانية، وهو ما عبر عنه شيخنا الجليل فضيلة الدكتور عبد الله دراز بـ (القرآن في سورة

---

(١)الأنعام:٨٢.

(٢)نظم الدرج ٢٠ ص ٤٦٠.

(٣)المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

سورة منه) ويقصد به تناسق وائتلاف الجمل في السورة الواحدة حيث الموضوعات شتى والظروف متفاوتة وزمن النزول متباعد، ومع ذلك فهى منتظمة في وحدة محكمة.

وليس ذلك بالأمر الهين كما قد يظنه الجاهل بهذه الصناعة؛ بل هو مطلب كبير يحتاج مهارة وحذقًا ولطف حس في اختيار أحسن المواقع لتلك الأجزاء أيها أحق أن يجعل أصلًا أو تكميلًا، وأيها أحق أن يبدأ به أو يختم أو يتبوأ مكانًا وسطًا(١).

ومن خلال العرض السابق لبعض وجوه البلاغة والبيان في السورة الكريمة يتبين لنا بوضوح أنه لا تخلو آية من آيات السورة الكريمة عن نكتة لطيفة مما يتعلق بفصاحة القرآن وبلاغته في نظمه وأسلوبه، وأن هذا الأسلوب الفريد يعد من أهم ماتميز به القرآن عن غيره من أساليب الكلام الأخرى؛ ولهذا كان القرآن معجزًا، عجز الإنس والجن عن الإتيان بأقصر سورة من سوره، وذلك دليل واضح على أن هذا القرآن ليس من صنع البشر وإنما هو تنزيل من حكيم حميد، وقد نطقت آياته بذلك، قال تعالى: **{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}**(٢).

وقد أشاد الإمام ابن عطيه بهذا الوجه من وجوه الإعجاز فقال: "ووجه

---

(١)النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم/ المؤلف: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)/ ص ١٧٦ بتصرف/ اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية/قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني/ الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع/ الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

(٢)هود: ٢.

إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل، والنسيان، والذهول، ومعلوم ضرورة أن بشرًا لم يكن قط محيطًا،فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة"(١).

* * *

(١)المحرر الوجيز ج١ ص ٥٢.

المطلب الثانى

الإعجازبالإخبار بالغيب الماضى

اشتمل القرآن الكريم على أخبار كثيرة من الغيوب التى لا علم للنبى ﷺ بها، ولا سبيل لمثله ﷺ ولا لغيره أن يعلمها، مما يدل دلالة بينة على أن هذا القرآن المشتمل على تلك الغيوب يستحيل أن يكون مصدره من بشر، بل هو كلام علام الغيوب.

وتتمثل غيوب الماضى في القرآن في قصص السابقين التى يفيض بها التنزيل، ولم يكن لعلم النبى ﷺ بها من سبيل.

ومن هذه القصص قصة نوح . عليه السلام .، وقد وردت في أكثر من موضع في القرآن، وأفرد المولى . عزوجل . الحديث عنها في سورة كاملة من سور التنزيل، سماها باسمه وهى (سورة نوح) . عليه وعلى نبينا السلام . .

ذكر المولى . عزوجل . هذه القصة في تلك السورة، وقد تجلت فيها رحمة الله بعباده، وعنايته بهدايتهم بإرسال رسله تترى الواحد تلوالآخر، وقد بين لنا المولى سبحانه الجهد المضنى، والصبر الجميل والحرص التام من سيدنا نوح على هداية قومه، ودعوته إياهم بشتى وسائل الدعوة **{إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا}**(١)، **{ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا}**(٢).

وعلى الجانب الآخر تعرض لنا السورة موقف قومه، مبينة إعراضهم

---

(١)نوح : ٥.

(٢)نوح : ٨، ٩.

وإصرارهم على ضلالهم **{وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}**(١)، ولكنه . عليه السلام . لم يمل ولم تخرعزيمته أمام هذا الإعراض بل واصل دعوته مطمعًا إياهم بالمغفرة والرزق الوفير إن هم آمنوا، ولم يكتف بذلك بل أقام الدليل على وجود الله وتوحيده وقدرته وعظمته بالنظر في النفس البشرية، والآفاق من السموات والشمس والقمر ،والتذكير بكنوز الأرض وخيراتها من معادن ونباتات وحيوانات.وأمام كل ذلك أصرّ قوم نوح على الكفر والعناد والتمرد وعبادة الأصنام، وتواصوا بعبادة الأوثان وترك عبادة الله. و بعد أن يئس من اتباعهم إياه، وبعد أن أوحى الله إليه: **{أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ}**(٢)، دعا عليهم بالهلاك والدمار؛ لأن في بقائهم مفسدة عظيمة نوه إليها بقوله **{إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا}**(٣) وختمت السورة بدعائه بطلب المغفرة لنفسه ولوالديه ولعامة المؤمنين(٤).

كل هذه الأحداث والوقائع بكافة تفاصيلها لم يكن لرسول الله ﷺ علم بها، بل إن المولى عقب على هذه القصة بقوله **{تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا**

---

(١)نوح : ٧ .

(٢)هود: ٣٦.

(٣)نوح : ٢٧ .

(٤)يتظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ص ٨٨٨، ٨٨٩ بتصرف، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا}(١).

الغرض من ذكر الغيب الماضى في القرآن:

يأتى الإخبار بالغيب الماضى في القرآن لأغراض متعددة، أهمها:

١ ـ **إثبات الوحي والرسالة.** فمحمد ﷺ لم يكن كاتبًا ولا قارئًا، ولا عرف عنه أنه يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى؛ ثم جاءت هذه الأخبار في القرآن لتؤكد ذلك والقرآن ينص على هذا الغرض نصًّا في مقدمات بعض القصص أو في ذيولها، جاء في أول سورة يوسف:**{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}**(٢).

٢ـ **بيان أن الدين كله من عند الله،** من عهد نوح إلى عهد محمد . عليهما الصلاة والسلام .،وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع؛ وكثيرًا ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، معروضة بطريقة خاصة، لتؤيد هذه الحقيقة، وإنه مما جاء في هذه القصص أنَّ دعوة النبيين–عليهم الصلاة وأتم السلام– جاءت للخير إلى حسن التعامل، وإصلاح الأرض، وأنَّ إصلاح الأعمال والنفوس ومنع الفساد في الأرض من أعظم المقاصد في الشرائع السماوية بعد عبادة الله تعالى والإيمان باليوم الآخر (٣).

---

(١)هود: ٤٩.

(٢)يوسف: ٣، ٤.

(٣)التصور الفني في القرآن، ص ١٤٥، ١٤٦بإيجاز.

٣ـ بيان أن الدين كله موحد الأساس، وتبعًا لهذا كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة مكررة فيها العقيدة الأساسية، وهي الإيمان بالله الواحد،وبيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة، وأن استقبال قومهم لهم متشابه، وتبعًا لهذا كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة أيضًا، مكررة فيها طريقة الدعوة، على نحو ما جاء في سورة الأعراف، وهود، ففى هاتين السورتين نادى رسل المولى . عزوجل . نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى . عليهم السلام . في أقوامهم: **{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}**، وكان استقبال أقوامهم لهذه الدعوة الاستهزاء والسخرية والتكذيب(١).

٤ـ بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين، وذلك تثبيتًا لمحمد صلى الله عليه وسلم وإيناسًا له بأخبار إخوانه من المصطفين الأخيار، وتأثيرًا في نفوس من يدعوهم إلى الإيمان، قال تعالى: **{وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}**(٢).

٥ـ القصص القرآني فيه العبرة، وما ذكرت قصة إلّا كان معها عبرة أو عِبَر، وفيها المثلات لمن عصوا وتركوا أمر ربهم، وفيها بيان ما نزل بالأقوياء الذين غرهم الغرور، والجبابرة الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، والله من ورائهم محيط(٣).

٦ـ إثارة العاطفة وتحريك الوجدان، والتسلية للترويح من خلال هذا الزاد الثقافى، فمما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف–

---

(١)المرجع السابق ص ١٤٩ بتصرف/ ينظر: المعجزة الكبرى القرآن ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢)هود: ١٢٠.

(٣)ينظر: المعجزة الكبرى ص ١٢١ .

وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر لا تمل ولا تكل، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزاهير والثمار.

والدروس التلقينية والإلقائية تورث الملل، ولا يستطيع الإنسان أن يتابعها ويستوعب عناصرها إلا بصعوبة وشدة. وإلى أمد قصير. ولذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعًا، وأكثر فائدة.

والمعهود- حتى في حياة الطفولة- أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يُروى له، فيحاكيه ويقصه.

وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي، من سيرة النبيين، وأخبار الماضين وسُنة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم، ولا تقول في ذلك إلا حقًّا وصدقًا(١).

٧- **تصحيح الوقائع التاريخية فيما كان له مصدر سوى القرآن**، وإيرادها على وجه لا يتطرق إليه الشك، أو يحتمل الطعون، - فلا يخفى علينا أن يد المحرفين امتدت إلى التوراة والإنجيل خاصة فيما يتعلق بالغيب الماضى،وسمعنا في هذا الشأن ما يتنافى مع مقام الأنبياء -، ثم إمداد الفكر الإنسانى بمادة وأحداث تاريخية جديدة، فيما ليس له مصدرسواه(٢). وقد اشتشهد فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى بذلك الوجه على إعجاز القرآن فقال: "وهكذا نرى أن القرآن مزق حجاب الزمن الماضي في أكثر من مناسبة

---

(١)مباحث في علوم القرآن،ص ٣٢١، ٣٢٢، / وينظر: كيف تحفظ القرآن الكريم، المؤلف: أ. د.: عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب/ ص ٩٦/ الناشر: دار طويق/ الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٢)خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ج ١ ص ١٢٩.

ليخبر محمدا . عليه السلام . بالأخبار الصحيحة عمن سبقوه من الرسل والأنبياء، ويصحح ما حرف من الكتب السماوية التي أنزلها الله وحرفها الرهبان والأحبار، ذلك أن التحدي للقرآن في تمزيق حجاب الزمن الماضي وصل إلى أدق أسرار الرسالات السماوية الماضية فصححها لهم، وبين ما حرفوه منها وما أخفوه، وتحداهم أن يكذبوا ما جاء في القرآن فلم يستطيعوا"(١).

٨- **إبراز وجه من وجوه الإعجاز البيانى للقرآن**، وذلك في تصريف القصص بألفاظ مختلفة ومواقف متباينة، فإن ذكر القصة القرآنية في أكثر من سورة ليس من باب التكرار الممل والمخل، وإنما هو من باب التنويع الهادف، والإضافة الحكيمة، والتناسق المعجز(٢).

وجه دلالة الغيب الماضى على إعجاز القرآن:

١- لم يكن محمد ﷺ مشاهدًا الأحداث التي جاء القرآن الكريم بقصصها، وهي صادقة وثابتة في الصادق من أخبار النبيين في كتبهم التي يتداولها أهل الكتاب، ولم يتناولها التحريف.

٢ ـ كان محمد ﷺ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: **{وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ}**(٣).

---

(١)معجزة القرآن ص ١٤ بإيجاز.

(٢)القرآن ونقض مطاعن الرهبان/ المؤلف: د صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ٥٧٠/ دار النشر: دار القلم – دمشق/ الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.

(٣)العنكبوت: ٤٨.

فمن أين جاء محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القصص الحق، وهو لم يقرأها؛ لأنه لم يكن قارئًا؟ إنه من عند الله العزيز الحكيم علَّام الغيوب، وبذلك كان القصص الصادق من التحدي(١).

٣ ـ لم يُحك عن واحد من اليهود والنصارى على شدة عداوتهم لرسول الله ﷺ أنه كذبه صلى الله عليه وسلم مع حرصهم على تكذيبه، بل صرح أكثرهم بصحة نبوءته، وصدق مقاله، واعترف بعناده مع حسدهم إياه.

ولم يؤثر أن واحدًا منهم أظهر خلافَ قوله ﷺ عما في كتبهم، قال تعالى: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ}**(٢)،(٣).

---

(١)المعجزة الكبرى ص١٤١/ ينظر: مناهل العرفان ج٢ ص ٣٨١.

(٢)المائدة:

(٣)معترك الأقران ص ١٨٢بإيجاز وتصرف .

المطلب الثالث

الحقائق العلمية في سورة نوح ـ عليه السلام ـ

إن الهدف الأساسى للقرآن الكريم هو تبصير الإنسان بطريق الهداية ودعوته لسلوكها، وجاءت هذه الهدايات والدعوة إليها بأساليب متنوعة فمن مخاطبة للفطرة الإنسانية، ومن استدلال بواقع الأشياء المحسوسة إلى مجادلة عقلية، إلى تذكير بعاقبة الأمم السابقة.

ولما كان المخاطبون بالقرآن مختلفين في مستوياتهم الفكرية والثقافية،جاء في القرآن من البراهين والأدلة والأمثال ما يعم الشرائح الإجتماعية على مختلف العصور والبيئات؛ لذلك كان ما ورد في القرآن من آيات كونية سواء منها ما يتعلق بالآفاق، وما يتعلق منها بالأنفس البشرية أمر بديهى؛ لأن من فئات المخاطبين المكلفين بالقرآن من ينصب كل اهتمامه على هذه الجوانب من مخلوقات الله، وهؤلاء لابد من إقامة الحجة عليهم، وإظهار أن القرآن كلام الله المنزل على محمد ﷺ(١).

وتدل الدلائل على أن العلماء الذين درسوا الآيات الكونية في القرآن، وطبقوها على ما وصل إليه العلم في زمانهم في الفلك أو الطب أو الطبيعة أو الكيمياء أو الأحياء وغيرها من العلوم وجدوا تطابقًا وتوافقًا علميًا رائعًا أكد لهم أن القرآن كتاب الله الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لذلك كانوا أكثر الناس إيمانًا بعظمة الخالق المبدع وأسبقهم إقرارًا

(١)مباحث في إعجاز القرآن ص ١٦٧ بإيجاز.

بألوهيته؛ لما رأوه رأى العين من أن القرآن الكريم الذى نزل على نبينا محمد . صلوات الله وسلامه عليه . منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان كان هو نهاية العلم الذى يصلون إليه كلما جد جديد في بحثهم(١).

وفى سورة نوح . عليه السلام . العديد من الحقائق العلمية التى لم يكن للعقل البشرى القدرة على تفسيرها تفسيرًا علميًا فى ذلك الوقت، ولم يتعد فهمهم لها عن أنها من دلائل قدرة الله، ومظهر ناطق بعظمته وتفرده باستحقاق الألوهية، ولكن مع مرور الزمن وتطور العقل البشرى، ظهر من مضمون هذه الآيات العديد من الحقائق الكونية التى أثبتها العلم التجريبى، وأصبحت من المسلمات الثابتة التى لا تقبل الشك أو التكذيب،ولقد وردت في سورة نوح . عليه السلام . آيات بينات اشتملت على حقائق علمية كشفها العلم الحديث وبينها، وسوف أذكر فى هذا المطلب بعض هذه الحقائق، لنسترشد منها بعض نواحى إعجاز القرآن، ومن هذه الحقائق:

١ ـ ضرورة تنويع أساليب الدعوة وطرائقها بما يتناسب والظروف النفسية للمدعوين، وذلك من القواعد الأساسية فى علم النفس الحديث(٢).

وقد استخدم نوح . عليه السلام . هذه القاعدة حيث خاطب العاطفة حينًا،مرغبًا لهم فيما عند الله ومرهبًا من غضبه وعقابه، مستخدمًا فى ذلك أسلوب الوعظ والتذكيرمتحريًا فى ذلك الوقت المناسب لهم، وخاطب العقل حينًا آخر، مستخدمًا كل الأساليب لإقناع ذلك العقل البشرى بوجود إله مبدع

(١)القرآن وإعجازه العلمى ص ٥٤.

(٢)تفسير الآيات الكونية في القرآن/ تأليف الدكتور: زغلول النجار ج٤ ص ٢١٥/ الناشر: مكتبة الشروق الدولية/ ط: ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م الأولى.

عالم قادر؛ ليتركوا عبادة أصنامهم التى لاتستطيع جلب نفع أودفع ضر، فى محاولة منه لإهتدائهم وإيمانهم، فقد دعاهم للنظر فى أنفسهم وفى صفحة الكون، وهو ما يسمى بالأسلوب العلمى فى الدعوة إلى الله.

٢ ـ الإشارة إلى خلق الإنسان فى أطوار متتالية: قال تعالى **{مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}.نوح : ١٣ ، ١٤.**

أولا: تفسير السلف للآية: قال ابن عباس ومجاهد: قوله تعالى: **{وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}** إشارة إلى التدريج الذي للإنسان في بطن أمه من النطفة والعلقة والمضغة، وقال جماعة من أهل التأويل : هي إشارة إلى العبرة في اختلاف ألوان الناس وخَلقهم وخُلقهم ومللهم، والأطوار: الأحوال المختلفة(١). والمعنى: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، وتدركوا طلاقة قدرته،وقيل: لا ترجون له عاقبة، فتطيعونه وتخشون عقابه،وقد خلقكم كرات متدرجة نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ولحمًا(٢).

التفسير العلمى للآية: أثبت العلم في العصر الحديث أن البداية الحقيقية للجنين تبدأ كما صرح القرآن بالنطفة، وذلك باتحاد الحيوان المنوى الذى يفرزه الذكر بالبويضة التى تفرزها الأنثى، والاثنان يتكونان من الدم الذى يتكون بدوره من المادة اللبنية الناتجة من (الكيلوس) وهو عبارة عن نواتج هضم الغذاء، وعند اندماج الحيوان المنوى بالبويضة تكتمل خلية مخصبة من ثلاث وعشرين زوجا من الكروموزومات، وهذه الخلية تبدأ بالإنقسام إلى

---

(١)المحرر الوجيز ج ٥ ص ٣٧٤.

(٢)جامع البيان ج ٢٣ ص ٦٣٤، ٦٣٥.

خلايا لتكون في مجموعها علقة مشابهة لعلقة الناموس المستطيلة حيث تتعلق بجدار الرحم وتبقى كذلك أربعين يومًا، وعندها تبدأ بالإستدارة والتكور لتأخذ شكل قطعة اللحم الممضوغ ليونة، بعدها مباشرة تبدأ الخلايا بتكوين أجزاء الجنين مصداقًا لقوله: **{فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ}**(١).

وفى علم الأجنة التشريحى أن خلايا العظام هى التى تتكون أولا في الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام، ويثبت العلم أن هذا الجنين أول أمره يشبه حيوان الخلية الواحدة، ثم بتقدم الحمل يأخذ شبه الحيوان متعدد الخلايا، ثم يتطور ليأخذ شكل الحيوانات المائية، ثم الحيوانات الثديية،ثم شكل الإنسان الذى يولد عليه(٢).

وقد جاء ذكر أطوار خلق الإنسان فى مراحله الجنينية المتتالية مرتبة ترتيبًا دقيقًا، وموصوفة وصفًا شاملًا فى عدد من آيات القرآن، منها قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ**

---

(١)المؤمنون: ١٤.

(٢)وجوه من الإعجاز القرآنى، المؤلف/ مصفى مراد الدباغ، ص ٨٢، الناشر/ مكتبة المنار . الزرقاء . الأردن، ط: ١٩٨٢ الأولى.

بَهِيجٍ}(١)، وقوله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}**(٢).

وهذا الوصف القرآنى المعجز جاء فى زمن ساد فيه الإعتقاد بأن الجنين البشرى يخلق خلقًا كاملًا فى صورة متقزمة جدًا لا تكاد ترى بالعين المجردة، وذلك من دم الحيض فقط، أو من ماء الرجل فقط، ثم يزداد تدريجيًا حتى لحظة الميلاد.

فلم تكتشف العلوم المكتسبة كلًا من نطفة الرجل ونطفة المرأة إلا في أواخر القرن السابع عشر الميلادى، بعد بناء المجهر، وحتى بعد إكتشافها فإن دورهما في تكوين الجنين لم يدرك إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، ولم تعترف العلوم المكتسبة أن الجنين يتخلق بإخصاب نطفة الأنثى (البييضة) بواسطة نطفة الذكر (الحيمن) إلا في القرن التاسع عشر الميلادى.

ومع ذلك فإن التأكيد على دور كل من الذكر والأنثى في تخليق الجنين ووصف أطواره في مراحله المتتالية بدقة متناهية ورد في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا في زمن انعدمت فيه وسائل التكبيرأو التصوير أو الفحص، مما يؤكد لكل ذى بصيرة أن القرآن لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو

---

(١)الحج: ٥.

(٢)المؤمنون: ١٢، ١٣، ١٤.

كلام الخالق تبارك وتعالى(١).

كما أن هذه الآيات ومثلها تزيد المؤمنين إيمانًا ويقينًا بقدرة الله تعالى وعظمته،فإن بيان أطوار خلق الإنسان على النحو المتقدم أقوى في انتزاع الإعتراف بقدرة الله من العبد ؛ لأنه يوقفه على عدة مراحل من حياته وإيجاده، وكل طور منها آية مستقلة، وهذا التوجيه موجود في الظواهر الكونية أيضًا من سماء وأرض، ففيه بيان أن تلك الأطوار في المخلوقات بتقدير معين، وأنه بعلم، ومن العزيز سبحانه، فكان من الممكن خلقها دفعة واحدة، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، ولكن العرض على هذا التفصيل أبعد أثرًا في نفس السامع وأشد تأثيرًا عليه(٢).

٣ . **الدلالة على أن السموات سبع طباق:** قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}**.نوح : ١٥.

تفسير السلف للآية: قال الإمام الطبرى عند تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل نوح . صلوات الله وسلامه عليه . لقومه المشركين بربهم، محتجا عليهم بحجج الله في وحدانيته: **{أَلَمْ تَرَوْا}** أيها القوم فتعتبروا **{كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}** بعضها فوق بعض، والطباق: مصدر من قولهم: طابقت مطابقة وطباقا. وإنما عنى بذلك: كيف خلق الله سبع

---

(١)تفسير الآيات الكونية ج ٤ ص ٢٢٣.

(٢)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ج ٨ ص ٣٠٨، ٣٠٩، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م.

سموات، سماء فوق سماء مطابقة"(١).

التفسير العلمى للآية: تشير النتائج العلمية المعتمدة على مشاهدات أقوى المناظير الفلكية على وجود سماء واحدة في الفضاء الكونى اللانهائى، وينفى وجود أكثر منها. وبناء على ذلك افترى بعض الملحدين على القرآن وأشاعوا بأن هناك تناقضا بين العلم والدين؛ وذلك لأن العلم يعترف بوجود سماء واحدة، بينما الدين يقر بوجود سبع سماوات(٢).

وهذه شبهة باطلة تدل على جهل قائليها؛ وغير مسلم بصحتها لما يلى:

أولا: إبطال الشبهة من الناحية العلمية:

١ ـ إذا كانت النتائج العلمية لم تتوصل بعد إلى أكثر من سماء فليس معنى هذا أن بقية السماوات الأخرى التى جاء ذكرها في القرآن لا وجود لها، فعدم الدليل ليس دليل العدم، وقد تأتى فترة زمنية لاحقة يتحقق للإنسان فيها ـ بمشيئة الله ـ مشاهدة أكثر من سماء باستخدام وسائل تقنية مطورة أقوى وأدق من تلك التى نستخدمها اليوم.

٢ ـ جاءت تفسيرات متعددة لعلماء الفلك تثبت أن السماوات سبع،ومن هذه التفسيرات:

أ ـ أن الشموس والكواكب القريبة من الأرض تقع في الفضاء السماوى الذى تقع فيه مجرة درب التبانة،والتى تمثل المجموعة الشمسية إحدى بلايين

---

(١)جامع البيان ج ٢٣ ص ٦٣٦.

(٢)ينظر: وجوه من الإعجاز العلمى في القرآن ج١ ص ٩٤.

المجموعات الشميسة في هذه المجرة.

وهناك في الفضاء اللانهائى بلايين الكواكب والمجرات الأخرى التى تسبح في فضاءات سماوية متتابعة يعلو بعضها بعضا، وقد يمكن تفسيرها واحتساب عددها سبع سماوات أدناها السماء الدنيا وأعلاها السماء العليا.

ب ـ أن السموات السبع مدارات الكواكب السيارة التى تدور حول الشمس،وقد فسرها الدكتور جمال الدين الفندى بتفسير آخر فقال: "السماوات السبع هى تحديد للنوع مما خلق الله سبحانه فوقنا من هواء وشهب ونيازك وأقمار ومذنبات وكواكب وشموس يعلو بعضها بعضًا ويتألف منه عوالم الكون أو طباق السماوات"(١).

ج ـ أن السماوات السبع هى الطبقات المختلفة لما يحيط بالأرض، وذلك أن الله تعالى بعد أن أكمل تكوين الأرض ودبت الحياة على سطحها وجعل حولها أجواء من طبقات أودع فيها وسائل لوقايتها من أهوال الفضاء الذى يرسل باشعاعات مهلكة وتتهاوى فيه شهب ونيازك مدمرة، ومن هذه الطبقات: "الطبقةَ الأولى: هي طبقةُ الهواءِ السفلى، التي تعيشُ فيها الأحياءُ، مِن طيورٍ وكائناتٍ، وما شاكل ذلك، وهذه الطبقةُ أيضًا مؤلفةٌ من عِدّة طبقاتٍ، وهي متقلِّبةٌ من حالٍ إلى حالٍ، ومتحوِّلةٌ من مكانٍ إلى مكانٍ، مِن حالةِ الحَرِّ، إلى حالةِ البردِ، إلى حالةِ الغُيُومِ، إلى حالةِ الأمطارِ، إلى حالةِ العواصفِ .

---

(١)المرجع السابق نفس الجزء ص ٩٩، ١٠٠ نقلا من كتاب قصة السماوات والأرض للدكتور جمال الدين الفندى.

والطبقة الثانية، هي طبقةٌ فيها جزيئاتٌ غازيةٌ كبريتيةٌ، هذه الجزيئاتُ الغازيةُ الكبريتيةُ، تلقِّحُ السحابَ، وتسهِّلُ عمليةَ الأمطارِ، ولولا هذه الطبقةُ الكبريتيةُ لمَا هَطَلَتِ الأمطارُ، ولما كانتِ الحياةُ على سطحِ الأرضِ، وفي هذه الثانية أيضًا طبقةُ الأوزون، وهي غلافٌ مِن الأُكسِجين الثلاثي، الذي يمتصُّ الأشعةَ فوقَ البنفسجيةِ القَاتِلةَ، لأنّ هناك في الشمسِ أشعةً فوقَ البنفسجيةِ، تمتصُّها طبقةُ الأوزون، ولا تسمح طبقةُ الأوزونِ بمرورِ هذه الأشعةِ القاتلةِ إلا بجزءٍ يسِيرٍ يقتل الجراثيمَ الضارَّةَ في الكائناتِ الحيةِ.

وأمّا الطبقةُ الثالثةُ فهي تشبِهُ فُرنًا ذريًّا شديدَ اللهب، ولولا هذه الطبقةُ لكانتِ الأحجارُ الكونيةُ، والكوَيْكباتُ المتساقطةُ قد دَمَّرتْ كلَّ شيء على الأرض، ولكنَّ هذه الطبقةَ تصهرُ كلَّ شيءٍ؛ من نيازكَ، من معادنَ، من كويكباتٍ، من أحجارٍ، تصلُ إلى الأرضِ بفعلِ الجاذبيةِ، إنها تحترقُ في هذه المنطقةِ على الأرض، وتتشهَّبُ، وتصبحُ رمادًا، لا يُرَى إلا بالمَجاهِر.

والطبقةُ الرابعةُ من طبقاتِ الغلافِ الجوّيّ هي طبقةُ "الأيونوسفير"، أي الطبقةُ المتأيّنةُ بأرجائِها الغامضة، وبارتفاعٍ قَدْرُه ثمانون كيلو مترًا فوقَ طبقة "الأيونوسفير" تتعرّض الطبقةُ المتأيّنةُ لإشعاعاتِ الشمسِ، ولا سيما فوق البنفسجيةِ التي تعملُ على تحطيمِ ذرّاتِ غازِ الأوكسجين والنيتروجين بها، فتفقدُها إحدى إلكتروناتِها فتصبحُ متأيّنةً، أي مشحونةً كهربيًّا، وتُدعَى هذه الذراتُ عند ذلك بالأيوناتِ المشحونةِ، حيث تقومُ مقامَ الملايين من المرائي في الجوّ، فتعكسُ الموجاتِ اللاسلكيةَ عن الأرضِ، وترسلها حولها، وهذه هي الطريقةُ التي تُستعملُ في إرسالِ الرسائلِ اللاسلكيةِ من قارةٍ إلى أخرى،

وحول العالَمِ في جميع الاتجاهاتِ.

وأمّا الطبقةُ الخامسةُ فهي تمتدُّ مِن ألف كيلو مترٍ، إلى خمسةٍ وستين ألفَ كيلو مترٍ، يقلُّ الهواءُ تدريجيًا في هذه الطبقةِ، إلى أن ينعدمَ، فطبقةُ الهواءِ المحيطةُ بالأرضِ يزيدُ سمْكُها على خمسةٍ وستين ألفَ كيلو مترٍ نحوَ الأعلى. وهذه الطبقات لم تعرف خواصها إلا في العصور الحديثة فأنى لمحمد النبي الأمي العلم بها(١).

مما سبق يتبين لنا أن العلم الوضعى التجريبى بما أتيح له من وسائل وتقنيات قد عجز عن إدراك البعد الحقيقى للفضاء الكونى، كما أنه لم يستطع أن يقدم تفسيرًا جازمًا لحقيقة السموات السبع المتطابقة.

ثانيا إبطال الشبهة بأدلة القرآن:

١ . جاء ذكر السماوات السبع في القرآن الكريم في سبع مواضع: الأول: **{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}**(٢).

٢ . **{قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}**(٣).

٣ . **{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**

---

(١)موسوعة الإعجاز العلمى في القرآن والسنة، المؤلف: محمد راتب النابلسي، ج٢ ص ٣، ٤ بإيجاز، الناشر: دار المكتبي– سورية– دمشق– الحلبوني– جادة ابن سينا/ وينظر: القرآن وإعجازه العلمى ٦٩.

(٢)الإسراء: ٤٤.

(٣)المؤمنون: ٨٦.

وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}(١).

٤ . **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}**(٢).

٥ . **{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ}**(٣).

٦ . **{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}**(٤)

٧ . **{وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا}**(٥).

هذا التكرار القرآنى في الإشارة إلى سبع سماوات في سبع مواضع أمر معجز، ولابد أن يكون القصد منه هو التحديد والحصر لا مجرد التعبير عن التعدد والكثرة، فهى فعلا سبع سماوات،وذلك تبعا للنص القرآنى(٦).

٢ ـ ذكر المولى . عزوجل . في القرآن الكريم أن ما نراه من زينة رائعة في السماء غير المحدودة الأبعاد لهو في السماء الدنيا، قال تعالى **{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ}**(٧)، وذكر في موضع آخر أن هناك سماء

---

(١)فصلت: ١٢.

(٢)الطلاق: ١٢.

(٣)الملك: ٣.

(٤)نوح: ١٥، ١٦.

(٥)النبأ: ١٢.

(٦)تفسير الآيات الكونية ج ٤ ص ١٥٤.

(٧)الصافات: ٦.

أخرى علوية تفوق السماء الدنيا، قال تعالى **{طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى (٣) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى}**(١) فدل ذلك على وجود أكثر من سماء، وأنها طباق بعضها فوق بعض، فالحق كل الحق في قول الله . عزوجل . ، أما العلم الوضعى فهوعلم محدود الأبعاد والإمكانات(٢).

مما سبق يتبين لنا أن العلم البشرى وقف عاجزًا عن إثبات وجود سبع سماوات وجودًا يقينيًا أو نفيه نفيًا جازمًا، والحق أن السماوات السبع غيب لا يعلمه إلا الله، وقد أخبرنا به في محكم التنزيل، والمسلم الذى آمن بالله ورسله واليوم الآخر دون أن يرى شيئًا من ذلك، يؤمن أيضًا بصدق إخبار الله عن السموات السبع دون أن يراها؛ لأن القرآن الكريم كلام الخالق الذى خلق الكون وأبدعه، ومن أدرى بالخلق من الله(٣).

٤ ــ **التفريق العلمى بين ضوء الشمس وضوء القمر:** قال تعالى: **{وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}**. نوح : ١٦.

تفسير السلف: ذكر السلف لهذه الآية تفسيرين:

أحدهما: أن الله جعل القمر في السموات السبع نورًا **{وَجَعَلَ الشَّمْسَ}** فيهن **{سِرَاجًا}**. وجه القمر قبل السموات، وظهره قبل الأرض، يضيء لأهل السموات، كما يضيء لأهل الأرض، وكذلك الشمس، روى قتادة، عن عبدالله

---

(١)طه: ١، ٢، ٣، ٤.

(٢)ينظر: وجوه من الإعجاز العلمى في القرآن ص ٩٨ بتصرف.

(٣)تفسير الآيات الكونية ج ٤ ص ١٥٨بإيجاز.

بن عمرو أنه قال: إن الشمس والقمر وجوههما قِبَل السموات، وأقفيتهما قِبَل الأرض، وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله: **{وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}**، وقال عبد الله بن عباس وجه القمر يضيء لأهل الأرض، وظهره يضيء لأهل السماء.

الثاني: أن القمر في السماء الدنيا. وإنما قيل: «فيهن» على المجاز؛ لأنها إحداهن، وهذا كما تقول: أتيت بني تميم، وإنما أتيت بعضهم. وهذا قول الحسن(١).

مما سبق يتبين لنا أن السلف الصالح لم يتعرضوا فى تأويلهم للآية للتفاوت بين ضوء الشمس وضوء القمر، فكلاهما مصدر للضوء، والخلاف بينهم حول مكانهما. وأرى أن القول بأن وجوههما للسماء وأقفيتهما للأرض قول لم يخضع للتجربة؛ ولذا ينبغى عدم التسليم بصحته؛ لأن كلا من الشمس القمر في حركة دائمة، كما أن الأرض تدورحول نفسها، فثباتهما في وضع دائم يجعل وجوههما للسماء وأقفيتهما للأرض مستحيل؛ وذلك لما أثبته علماء الفلك من أن الشمس لها مجموعة من الكواكب والأقمار والمذنبات تتبعها دائما في حركتها، فالشمس تدور حول نفسها ليست ثابتة في مكان

---

(١)ينظر جامع البيان ج ٢٣ ص ٦٣٧/ معانى القرآن للأخفش، المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ) ج٢ ص ٥٥٠، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م/ زاد المسير ج٤ ص ٣٤٣/ النكت والعيون ج٦ ص ١٠٢.

واحد بل تدور وتدور معها أسرتها(١).

وبعد مرور العديد من القرون وتطور العلوم نوه الإمام ابن كثير في تفسيره للتفاوت بين ضوء القمر وضوء الشمس فقال: "**{وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}** أي فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلًا منهما أنموذجًا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر للقمر منازل وبروجًا وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستتر ليدل على مضي الشهور والأعوام، كما قال تعالى: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}**"(٢)،(٣).

التفسير العلمى للآية: أثبت علماء الفلك أن الإختلاف في التعبير ووصف الشمس بالسراج والقمر بالنور هو من الدقة اللفظية في تحديد الوظيفة وهو مقصود، فقد وصف الشمس بالسراج الذى يعطى الضوء من ذاته، ووصف القمر بأنه كالمرآة التى تعكس الضوء الساقط على سطحها نورًا يُبدَد به الظلام.

فالشمس لها حرارة سطح تبلغ ستة ألاف درجة مئوية، وحرارة جوف

---

(١)ينظر: القرآن وإعجازه العلمى ص ٧٢ بتصرف.

(٢)تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ج٨ ص ٢٤٧، المحقق: محمد حسين شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت- الطبعة: الأولى- ١٤١٩هـ.

(٣)يونس: ٥.

تصل إلى عشرين مليون درجة مئوية، كما ان ألسنة اللهب ترتفع عن سطحها إلى نصف مليون كيلومتر، ناثرة في الفضاء طاقة تساوى ١٦٧،٤٠٠ حصان من كل متر مربع، لا يصل منها للأرض سوى جزء من ٢ مليون جزء، فهى حقا سراج.

كما أن القرآن يستخدم لفظ الضياء أو أحد مشتقاته فقط للدلالة على الضوء الحسى الذاتى، ويستخدم لفظ النور للدلالة على الضوء الحسى المكتسب والمنعكس من سطوح الأجسام المعتمة بذاتها، وكل ما ذكر في القرآن حول الشمس والقمر، والآيات التى حددت الشمس بالسراج الوهاج الذى يعطى الضوء من ذاته، ثم تلك التى حددت القمر بالنور باعتباره جسمًا مظلمًا يقع عليه ضوءالسراج الوهاج فينعكس عنه نورًا، كل هذا أكده العلم كبديهيات معروفة ومسلم بها(١).

٥ ـ **الإشارة إلى أصل خلق الإنسان من طين الأرض:** قال تعالى **{وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا}**.نوح :١٧.

تفسير السلف للآية: ذكر المفسرون فى هذه الآية ثلاثة أوجه : **أحدها:** أنبتكم من الأرض أي أنبت أباكم من الأرض كما قال: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ}**(٢).

والثاني: أنه تعالى أنبت الكل من الأرض؛ لأنه تعالى إنما يخلقنا من

---

(١)وجوه من الإعجاز القرآنى ص ٩٢، نقلا عن الدكتور أحمد عبد السلام الكردى في كتابه النجوم ومسالكها ص ٣٩، ٤٠/ وينظر: موسوعة الكحيل للإعجاز العلمى.

(٢)آل عمران: ٥٩.

النطف وهي متولدة من الأغذية المتولدة من النبات المتولد من الأرض(١).

الثالث: أن جميع الخلق أنشأهم باغتذاء ما تنبته الأرض وبما فيها(٢).

التفسير العلمى للآية: أثبت العلم التجريبى أن جسم الإنسان يتكون من عناصر التراب، وبالتحليل وجد أنه يتكون من ستة عشر عنصرًا، وهى عناصر التراب أو القشرة الأرضية الخصبة(٣).

فكل كائن حى يحتاج إلى المغذيات، وهى من المواد الأولية المستمدة أصلا من عناصر الأرض، ووسيلته فى ذلك التغذية، وكل من الإنسان والحيوان يعتمد فى تغذيته على النبات الذى أعطاه الله . تعالى . القدرة على تحويل عناصر الأرض إلى غذاء مقبول لكل من الإنسان والحيوان، ولولا ذلك ما استقامت الحياة على سطح هذا الكوكب.

والإنسان الذى يحيا على الأطعمة العضوية التى ركبها له النبات من عناصر الأرض، وعلى منتجات الحيوان ـ المباح له أكله ـ وهو يعيش على نبات الأرض، فيتوفر له بذلك كل ما يحتاج إليه جسمه من الكربوهيدرات، والبروتينات، والزيوت والدهون، والفيتامينات المختلفة، وغيرها من المركبات العضوية.

وكلها مستمدة أصلا من عناصر الأرض، ومن هنا كان فى قوله تعالى **{وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا}** سبقًا علميًا حقيقيًا؛ لأن هذه المعلومات لم

---

(١)ينظر: جامع البيان ج ٢٣ ص ٦٣٧/ زاد المسير ج٤ ص ٤٣٤/ مفاتيح الغيب ج ٣٠ ص ٦٥٤.

(٢)النكت والعيون، ج ٦ ص ١٠٢.

(٣)وجوه من الإعجاز القرآنى ص ٧٦.

تكن معروفة لأحد من الخلق فى زمن الوحى ولا لقرون متطاولة من بعده(١).

وقد نوه الإمام المراغى عن التشابه الشديد بين النبات والإنسان عند تفسيره للآية الكريمة فقال ": إن المولى أنبت كل البشر من الأرض، لأنه خلقهم من النطف وهى متوالدة من الأغذية المتوالدة من النبات المتوالد من الأرض.

وجعلهم نباتًا لأنهم ينمون كما ينمو النبات ويلدون ويموتون، وأيديهم وأرجلهم كأفرع النبات، وعروقهم المتشعبة فى الجسم والتي يجرى فيها الدم وينتشر فى الأطراف تشبه ما فى الشجر، وأحوالهم مختلفة كأحوال النبات، فمنه الحلو والمرّ والطيب والخبيث، واستعدادهم مختلف كاستعداد النبات، فلكل امرئ خاصة كما لكل نوع من النبات خاصة"(٢).

٥ ـ دحض شبهة التعارض بين قوله تعالى {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا}(٣) وكروية الأرض:

تفسير السلف للآية الكريمة:

قال الإمام ابن جرير: "يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل نوح لقومه، مذكِّرهم نِعَم ربه: **{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا}** تستقرّون عليها وتمتهدونها"(٤). أى أن الله تعالى مهد الأرض حتى تكون صالحة للسكنى.

---

(١)موقع فضيلة الدكتور زغلول النجار(www.elnaggarzr.com)()

(٢)تفسير المراغى ج ٢٩ ص ٨٥.

(٣)نوح : ١٩ .

(٤)جامع البيان ج ٢٣ ص ٦٣٧.

وقد نوه الإمام ابن عطية عند تفسيره للآية إلى شبهة التعارض فقال: "وقوله تعالى: **{بِسَاطًا}** يقتضي ظاهره أن الأرض بسيطة كروية واعتقاد أحد الأمرين غير قادح في نفسه اللهم إلا أن يتركب على القول بالكروية نظر فاسد، وأما اعتقاد كونها بسيطة فهو ظاهر كتاب الله تعالى، وهو الذي لا يلحق عنه فساد البتة. واستدل ابن مجاهد على صحة ذلك بماء البحر المحيط بالمعمور، فقال: لو كانت الأرض كروية لما استقر الماء عليها"(١).

مما سبق يظهر لنا أن الإمام ابن عطية يجزم بأن الأرض بساطًا ؛لأن الله أخبرنا بذلك، فهو يسلم لظاهر النص القرآنى، أما القول بكروية الأرض فهو قول يقبل الصواب والخطأ؛ ولذلك عقب بذكر قول مجاهد الذى ينفى نظرية الكروية.

ويرى الإمام أبوحيان أن بسط الأرض يدل على عدم كرويتها حيث قال:"بساطا تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ، وظاهره أن الأرض ليست كروية بل هى مبسوطة"(٢).

وقد اتخذ أعداء الأمة من هذا التأويل غرضًا يرمون به القرآن، حيث قالوا: إن القرآن يحوى موضوعات علمية متعارضة في شأن حقيقة كروية الأرض،وأن القول ببسط الأرض يتعارض مع كرويتها، وهذا قول باطل بإجماع المفسرين في تأويلهم للآية،وبآيات القرآن المثبتة لكروية الأرض، وبالأدلة العلمية.

الرد على الشبهة: أولًا المدلول اللغوى للفظة (بسط): بسط الأرض في

(١)المحرر الوجيز ج ٥ ص ٣٧٥.

(٢)البحر المحيط ج ١٠ ص ٢٨٤.

اللغة: نشرها ووسعها(١).

وقد ألصقت نعمة البسط بالأرض حتى سميت بالبسيطة، وهى الأرض العريضة الواسعة،يقال ما على البسيطة مثل فلان، فهى مبسوطة سهلة يتقلب عليها البشر كما يتقلب الرجل على بساطه(٢).

تأويل المفسرين للآية:

ذكر الإمام ابن جريرفى تفسيره أن المراد بقوله **{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا}** مهدها وجعلها صالحة للسكنى(٣).

ويرى الإمام ابن جزى أن المولى . عزوجل . شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها(٤).

وقد دفع الإمام الألوسى القول بالتعارض بين البسط والكروية عند تفسيره للآية فقال: "**{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا}** تتقلبون عليها كالبساط وليس فيه دلالة على أن الأرض مبسوطة غير كرية كما في البحر وغيره؛ لأن الكرة العظيمة يرى كل من عليها ما يليه مسطحا، ثم إن اعتقاد الكرية أو عدمها ليس بأمر لازم في الشريعة لكن كريتها كالأمر اليقيني وإن لم تكن حقيقة"(٥).

---

(١)المفردات في غريب القرآن ج ١ ص ١٢٢.

(٢)لسان العرب، فصل الباء ، مادة : بسط ،ج٧ ص ٢٥٩ / وينظر: ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم دراسة لغوية مع معجم لألفاظ الطبيعة الجامعة، تأليف د، خولة عبيد خلف الديلمى ص ١٨، ط دار الكتب العلمية . بيروت لبنان.

(٣)جامع البيان ج٢٣ ص ٦٣٧.

(٤)التسهيل لعلوم التنزيل ج٤ص ٤١٥.

(٥)روح المعانى ج١٥ ص ٨٤، ٨٥.

ويرى العلامة السعدى أن بسط الأرض من أجل نعم الله علينا، حيث إنه بالبسط جعل الأرض مهيأة للانتفاع بها.

فلولا أنه بسطها، لما أمكن ذلك، بل ولا أمكن الناس حرثها وغرسها وزرعها، والبناء، والسكون على ظهرها(١).

مما سبق من تأويل المفسرين للآية يظهر لنا أن معنى الآية يتوافق مع المدلول اللغوى للبسط، أى أن الله مهد الأرض ووسعها، فهى مترامية الأطراف.

ثانيا: آيات القرآن الدالة على كروية الأرض:

تحدث القرآن عن كروية الأرض بطريقة غير مباشرة، وبصياغة ضمنية لطيفة، ولكنها فى الوقت نفسه بالغة الدقة والشمول والإحكام، وجاء ذلك في الآيات التى تحدثت عن تكوركل من الليل والنهار على الأخر وانسلاخه منه وولوجه فيه،وعن مد الأرض ودحوها وطحوها وكثرة المشارق والمغارب فيها،وآيات التطابق . أى تطابق كل من السماوات والأرض . أذكر منها على سيل المثال قوله تعالى **{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ}**(٢).

جاء التكوير صفة لكل من الليل والنهار، وكلاهما من الفترات الزمنية التى تعترى الأرض، فإذا تكورا كان في ذلك إشارة ضمنية رقيقة إلى كروية الأرض، وإذا تكور أحدهما على الأخركان في ذلك إشارة إلى تبادلهما، وهى

---

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٨٩.

(٢)الزمر: ٥.

إشارة ضمنية رائعة إلى دوران الأرض حول محورها دون أن تثير بلبلة في زمن لم تكن للمجتمعات الإنسانية بصفة عامة والمجتمعات في جزيرة العرب بصفة خاصة أى حظ من الثقافة العلمية(١).

والتكويرفى اللغة: اللف والجمع،وهو إدارة الشيء وضم بعضه على بعض،أو جعله كالكرة، ومنه كور العمامة،ويقال (اكتار) الفرس إذا أدار ذنبه في عدوه(٢).

ومعنى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل أى يغشى كل واحد منهما الأخر كأنه يلفه عليه، وهو وصف واضح الدلالة على كروية الأرض، وعلى دورانها حول محورها أمام الشمس؛ وذلك لأن كلا من الليل والنهار عبارة عن فترة زمنية تعترى نصف الأرض في تبادل مستمر ولو لم تكن الأرض مكورة لما تكور أى منهما، ولو لم تكن تدور حول محورها أمام الشمس ما تبادل الليل والنهار، وكلاهما ظرف زمان، وليسا جسمًا ماديًا يمكن أن يكور، بل يتشكل بشكل نصف الأرض الذى يعتريه، ولما كان القرآن يثبت أن الله ـ تعالى ـ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، وهما فترتان زمنيتان تعتريان الأرض، فلابد للأرض من أن تكون مكورة، ومن هنا كان التعبير القرآنى إعلام صادق عن كروية الأرض(٣).

---

(١)تفسير الآيات الكونية ج٣ ص ١٧٧.

(٢)ينظر: غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، ج١ص ٣٨٢، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية ،السنة: ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨ م/المفردات في غريب القرآن، باب الكاف، ج١ص٧٢٩.

(٣)تفسير الآيات الكونية ج٣ ص ١٨٠.

ثالثًا الأدلة العلمية: من المعلوم عند علماء الجيولوجيا وعلماء الفيزياء أن نصف قطر الأرض يبلغ تقريبًا (ستة ملايين وثلثمائة وسبعون وثمانية آلاف ومائة متر) وهو رقم ضخم للغاية، وهذا الرقم الهائل يمكن أن يقال عنه عند الرياضيين: يقترب من اللانهاية، فيظهر سطح يقترب من أن يكون مسطحا نسبيًا، فالمولى . عزوجل . سطح الأرض رغم أنها كروية، فلو كان قطر الأرض أصغر من هذا القطر ربما لم تكن الأرض على حالتها من البسط والإمتداد والتسطح النسبى. ولكن المولى . تبارك وتعالى . أنعم علينا بأن خلق قطر الأرض على هذه الضخامة حتى يكون لنا من سطح الكرة بساطًا ممدودًا(١).

إن قوله تعالى **{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا}** توصيف لسطح الأرض بأن الله بسطه ووسعه، وليس للهيئة التى عليها هذا الكوكب، فهى في حقيقتها كروية وفى عين الناظر مستوية،إذ أن الآية وردت في سياق التذكير بنعم الله ولا يكون التذكير إلا بما هو مشهود(٢).

وعلى ذلك فلا منافاة بين القول بكروية الأرض والقول بانبساطها.

نجد من خلال العرض السريع للحقائق العلمية في السورة الكريمة :

١- أن سورة واحدة من سور القرآن . وهى من القصار. اشتملت الكثير من الحقائق العلمية الثابتة التى لايتطرق إليها الشك،وما ذلك إلا دليلًا من الأدلة الناطقة بإعجازالقرآن.

---

(١)موسوعة الإعجاز العلمى في القرآن والسنة. مقال للدكتور/ أحمد يوسف المدرك . كلية العلوم . جامعة عين شمس . جمهورية مصر العربية.

(٢)موقع هدى القرآن الإلكترونى . hodaalquran.com

٢ . إذا ما نظرنا نظرة مقارنة لما أورده السلف وما أورده علماء العصر الحديث في تفسير الآيات لرأينا أن السلف رضوان الله عليهم كانوا يقفون على حدود المعنى اللغوى الذى فهموه بأخصر لفظ، وقلما ما يتعرضون للإستنباط العلمى؛ وذلك لعدم توفر معطياته في تلك الفترة الزمنية.

وجه دلالة الحقائق العلمية في القرآن على إعجازه:

١- عرض القرآن الكريم لكثير من الحقائق الكونية،ولكنه عندما يعرض أى قضية من قضايا الكون العلمية لا يعرضها بأساليب البشر باستعمال المقدمات والدلائل والمعادلات واستنباط النتائج، وإنما يقدمها بالإشارة أو الرمز أو المجاز أوالإستعارة أو بالعبارات التى تومىء إلى العقل بنور روحى باهر بقدرة وعظمة المولى . عزوجل . ، وذلك مراعاة لحال المخاطبين بالقرآن وقت نزوله؛لأن العلم بقوانين العلوم الكونية كان محدود الأفاق وقتئذ، ولكنه سبحانه يعلم أن المستقبل سوف يأتى بشرح لهذه الحقائق، ومصداق ذلك قوله تعالى **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}**(١).

٢- ساق القرآن الكريم الكثير من الحقائق العلمية التى تتناول الكون والحياة والإنسان والخلق، ولو كان القرآن من قول محمد . صلى الله عليه وسلم . لما جازف بسوق هذه الآيات الكثيرة؛ لأنه سيضع نفسه في مأزق عظيم، ويترك الأمرالذى جاء به برمته عرضة للصدفة تصدقه أو تكذبه، وهو كان بلا شك في غنى عن ذلك بأن يصمت عنه منذ البداية، لا أن يملأ به صفحات

---

(١)القرآن وإعجازه العلمى ص ٥٤.

كثيرة لدرجة لن تجد الصدفة معه صعوبة بالإيقاع بإحدى قضاياه المطروحة لتكذبها فتسقط قضيته كاملة.

ولكننا نقف مذهولين لنقول أنه على مدى ثلاثة وعشرين عاما، وعلى مدى امتداد مائة وأربع عشرة سورة، وبعد مضى أربعة عشر قرنًا من الزمان، وبعد مائتى عام من البحث المتتابع الدؤوب لانجد في كل ما اكتشف في جميع نواحى العلم جميعًا حقيقة واحدة تقول إن القرآن جانب الصواب في الفكرة الفلانية، أو أخطأ عندما قررحقيقة في الخلق أو النبات أو علم البحار..... إلخ(١).

٣ . أن الحقيقة الكونية التى خلقها الله، وافقت الحقيقة العلمية التى تكلم بها الله، وهذا هو الأصل لأن المتكلم عن الحقيقة العلمية المخبر بها هو خالقها، فلا يمكن أن يختلفا البتة.

٤ . أن الحقائق العلمية كانت غائبة من جهة تفاصيلها عن السابقين، فمن الله على اللاحقين بمعرفة هذه التفاصيل، فكشفوا عنها، وأثبتوا حقيقة ما جاء في القرآن من صدق، فكان اكتشاف ذلك من دلائل صدق القرآن الذى أخبرعنها بدقة بالغة لم تظهر تفاصيلها إلا في العصر الحديث الذى نبغ فيه سوق العلم التجريبى(٢).

---

(١)وجوه من الإعجاز القرآنى ص ١١٣.

(٢)الإعجاز العلمى إلى أين، مقالات تقويمية للإعجاز، تأليف: د/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ص ٢٠، الناشر: دار ابن الجوزى، ط ١٤٣٣هـ . الثانية

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، هذا تمام ما يسر الله . عزوجل . بعد الإطلاع والبحث في موضوع "الإعجازفي سورة نوح . عليه السلام . دراسة تطبيقية" ، أسأل الله . تعالى . أن ينفعنى به ، وأن يتجاوز عن تقصيرى ، إنه غفور رحيم .

وقد توصلت من خلال بحثى إلى أهم النتائج الآتية :

١. أن المقصد من إعجاز القرآن إثبات صدق النبى ﷺ في دعوى الرسالة، وأن القرآن من لدن حكيم خبير.

٢ . أن القرآن كله معجز سوره وآياته، وينبغى عدم التقيد في ذلك بقدر معين.

٣ . سجل القرآن في أكثر من موضع عجز العرب عن معارضته مع توفر دواعى المعارضة لديهم.

٤ . أن من أوجه الإعجاز ما يلازم القرآن ويطرد فيه سورة سورة وآية آية، ومنها ما يكون الإعجاز فيه متعلقًا بجوانب منه غير مطرد فيه.

٥ . أن ما يعتبر من وجوه الإعجاز ويعول عليه هو الإعجاز البلاغى، وأنه لم يكن قط موضع جدل أو خلاف بين العلماء، ومنتظم فى كل آيات القرآن بخلاف غيره من الأوجه الأخرى.

٦ . أن الإعجاز العلمى أثاره العلماء فى العصر الحديث، وتوسعوا فيه بعد تقدم العلوم المادية، ولم يكن محط اهتمام من علماء السلف.

٧ . أن التفسير العلمى جائز إذا خضع للضوابط والشروط التى وضعها

العلماء فى ذلك الشأن.

٨ . أن القول بالصرفة ثبت بطلانه بالأدلة النقلية والعقلية.

٩ . أن وجوه الإعجاز لا تنحصر فيما ذكره العلماء،وأن إعجاز القرآن يتحقق بنواحى شتى تعز على الحصر والإستقراء.

١٠ . التناسق التام بين كلمات القرآن وعباراته والموضوع الذى يراد تقريره.

١١ . أن من مزايا النظم القرآنى اهتمامه بالجملة القرآنية واختيار المكان المناسب فيها للكلمة المعبرة، والتناسق بين الكلمات في الجملة الواحدة، والإهتمام بالإيقاع والإنسجام في اللفظ والنغم.

١٢ . أن الآية الواحدة يجتمع فيها أكثر من وجه من وجوه البلاغة.

١٣ . أن الآية الواحدة يجتمع فيها أكثر من وجه من وجوه الإعجاز.

١٤ . أن الإخبار بالغيب الماضى وقع في القرآن للدلالة على صدق النبى ﷺ في دعوى الرسالة، وأن القرآن الكريم المشتمل على ذلك الغيب كلام عالم الغيب والشهادة.

١٥ . أن القرآن الكريم صحح الوقائع والأحداث التاريخية التى امتدت إليها أيدى المحرفين فيما كان له مصدر غير القرآن.

١٦ . أورد القرآن الكريم الوقائع التاريخية طلبا للهداية والعبرة؛ ولذا لم يهتم بتفصيلات الحدث من الزمان والمكان وأسماء الأشخاص.

١٧ . ورد فى سورة نوح . عليه السلام . الكثير من الحقائق العلمية التى أثبتها العلم الحديث.

١٨ . أن القرآن الكريم سلك المسلك العقلى لتحقيق هداية الناس إلى خالقهم، وقد ظهر ذلك بوضوح فى السورة الكريمة.

١٩ . أن القرآن الكريم عند عرضه للقضايا الكونية يستعمل أسلوبًا مرنًا يقبل وجوها للتأويل.

مصادر البحث

١ . أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني، المؤلف: أحمد جمال العمري، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة التاسعة – العدد الثالث– ذو الحجة ١٣٩٦هـ / ديسمبر ١٩٧٦م.

٢ . الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣ . اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، المؤلف: أ. د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ١٤٠٦/٨/٥، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ– ١٩٨٦م.

٤ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥ . أسد الغابة ،المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)الناشر: دار الفكر – بيروت ، عام النشر: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٦ . أسرار ترتيب القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٧ . أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، المؤلف : محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر : دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.

٨ . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف : محمد الأمين ابن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان،عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.

٩ . الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق،المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثالثة.

١٠ . الإعجاز العلمى إلى أين، مقالات تقويمية للإعجاز، تأليف : د/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار،ص ٢٠، الناشر: دار ابن الجوزى، ط ١٤٣٣هـ . الثانية.

١١ . إعجاز القرآن للباقلاني، المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ)،المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.

١٢ . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،المؤلف: مصطفى صادق بن عبدالرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٣. إعراب القرآن وبيانه، المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى

درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة، ١٤١٥ هـ.

١٤. الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

١٥. ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم دراسة لغوية مع معجم لألفاظ الطبيعةالجامعة، تأليف د، خولة عبيد خلف الديلمى ص ١٨، ط دار الكتب العلمية . بيروت لبنان.

١٦ . أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبدالله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

١٧ . أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير،المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،

الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

١٨ . الإيضاح في علوم البلاغة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي

الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.

١٩ . البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت،الطبعة: ١٤٢٠هـ .

٢٠ . البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٢١ . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ – ١٩٩١ م / جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م / جـ ٦: ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.

٢٢ . البلاغة العربية، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)/ الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٢٣ . تاريخ آداب العرب، المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق ابن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي.

٢٤ . تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن،

المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٢٥ . التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

٢٦ . التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)،المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

٢٧. التصور الفني في القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الطبعة الشرعية السابعة عشرة.

٢٨ . تفسير الآيات الكونية في القرآن / تأليف الدكتور : زغلول النجار ج٤ ص ٢١٥/ الناشر : مكتبة الشروق الدولية / ط : ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م الأولى.

٢٩ . تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق:

محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

٣٠. تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

٣١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة ابن مصطفى الزحيلي / الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية، ١٤١٨ هـ.

٣٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،الطبعة: الأولى، جزء ١٥: مارس ١٩٩٨.

٣٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٣٤. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر،الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٣٥ . الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي،المؤلف : أبو عبد الله محمد

بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة : الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٣٦ . جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

٣٧. الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.

٣٨. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت.

٣٩. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م.

٤٠ . دلائل الإعجاز، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ابن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني

بجدة،الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٤٢ . سر الفصاحة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م.

٤٣ . سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) / ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) / الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

٤٤. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر – بيروت. الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م .

٤٥ . شريعة القرآن من دلائل إعجازه، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار العروبة – القاهرة، عام النشر: ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

٤٦ . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل

ابن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

٤٧ . صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٨ . صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٩ . الصناعتين، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩ هـ.

٥٠ . الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤلف: يحيى ابن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٥١ . عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، المؤلف: محمد السيد جبريل،الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٥٢ . عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، المؤلف: حسن عبد الفتاح أحمد، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٥٣ . غاية المرام في علم الكلام، المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)،المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

٥٤ . غريب القرآن،المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر،الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.

٥٥ . الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

٥٦ . القاضي عياض ومفهومه للإعجاز القرآني، المؤلف: أحمد جمال العمري، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة – العدد الثاني – ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

٥٧ . القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب

الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٥٨ . القرآن وإعجازه العلمي، المؤلف: محمد إسماعيل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية للطباعة.

٥٩ . القرآن ونقض مطاعن الرهبان، المؤلف: د صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النشر: دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٦٠ـ قواعد العقائد، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،المحقق: موسى محمد علي،الناشر: عالم الكتب – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٦١ . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٦٢ . كيف تحفظ القرآن الكريم، المؤلف: أ. د. : عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب، الناشر: دار طويق، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

٦٣ . اللباب في علوم الكتاب،المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر ابن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار

الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

٦٤ . لباب النقول في أسباب النزول،المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٦٥ . لسان العرب،المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٦٦. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد ابن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٠ م.

٦٧ . مباحث في إعجاز القرآن، المؤلف : الدكتور مصطفى مسلم، الناشر: دار المسلم للطباعة، ط : ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م . الثانية.

٦٨ . مباحث في علوم القرآن، المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٦٩ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

٧٠ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد

الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٧١ . مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد ابن عبد المحسن التركي / الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

٧٢ . مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٧٣ . مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"،المؤلف: إبراهيم ابن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)،دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض،الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

٧٤. المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)،المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.

٧٥ . معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي

(المتوفى : ٥١٠هـ)،المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٧٦ . معانى القرآن للأخفش [معتزلى]، المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٧٧ . معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)،المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٧٨ . معجزة القرآن، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ص. ب ١٧٠٧ – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٧٩. المعجزة الكبرى القرآن، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي.

٨٠ . معجم ديوان الأدب، المؤلف: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٨١ . المغني للإمام المتولي، المؤلف: عبد الرحمن بن مأمونالنيسابوري،

أبو سعد (المتوفى: ٤٧٨هـ)، تحقيق وتقديم: مارى برنان، الناشر: المعهد الفرنسى للآثار الشرقيه، ١٩٨٦ – القاهرة (ملحق حوليات إسلامية ؛ العدد رقم ٧).

٨٢ . مفاتيح الغيب = التفسير الكبير،المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٨٣ . مفتاح العلوم، المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

٨٤ . المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي،الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٨٥ . مناهل العرفان في علوم القرآن،المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)،الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

٨٦ ـ المواقف، المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبوالفضل، عضد الدين الإيجي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن

عميرة، الناشر: دار الجيل – لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٨٧ . موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤلف: محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي – سورية – دمشق – الحلبوني – جادة ابن سينا،الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٨٨ . موسوعة الإعجاز العلمى في القرآن والسنة. مقال للدكتور / أحمد يوسف المدرك . كلية العلوم . جامعة عين شمس . جمهورية مصر العربية.

٨٩ . موسوعة الكحيل للإعجاز العلمى.

٩٠. موقع فضيلة الدكتور زغلول النجار(www.elnaggarzr.com)

٩١ . موقع هدى القرآن الإلكترونى.(hodaalquran.com)

٩٢ . النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، المؤلف : محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ)،اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة : طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

٩٣ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٩٤ . النكت والعيون،المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)،المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٩٥ . نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (المتوفى: ٨٢١هـ)،المحقق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب اللبنانين، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٩٦ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

٩٧ . وجوه من الإعجاز القرآنى، المؤلف / مصفى مراد الدباغ، الناشر / مكتبة المنار . الزرقاء . الأردن، ط : ١٩٨٢ الأولى.

٩٨ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت.

فهرس الموضوعات

المقدمة

أهمية الموضوع

أسباب اختيار الموضوع

خطة البحث

منهج البحث

المبحث الأول: دراسة نظرية حول إعجاز القرآن

المطلب الأول : التعريف بمفهوم إعجاز القرآن

المطلب الثانى: بيان القدر المعجز من القرآن

المطلب الثالث: أدلة إعجاز القرآن

المطلب الرابع: وجوه إعجاز القرآن الكريم

المبحث الثانى: دراسة تطبيقية لوجوه الإعجاز في سورة نوح عليه السلام

المطلب الأول: البلاغة و البيان في السورة الكريمة

المطلب الثانى: الإخبار بالغيب الماضى

المطلب الثالث: الحقائق العلمية في سورة نوح عليه السلام

الخاتمة

مصادر البحث

فهرس الموضوعات

* * *